عشر رسائل في:

○ معنى «لا إله إلا الله»

○ ذِكْرُ شروطِها

○ ما تنفيه هذه الكلمة وما تُثبتُهُ

○ ضوابط لفهم الفَرْق بين الكفر الاعتقادي والعملي

***

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ)، وحفيده
الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٨٥ هـ)، وابنه
الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٩٣ هـ)
رحمهم الله تعالى

***

عناية: ماجد بن سليمان الرسي

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله مبينًا معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذه كلمات في بيان شهادة أن «لا إله إلا الله»، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أفرضُ من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امْرأً نصح نفسه، وعرف أن وراءه جنة وناراً، وإن الله عزَّ وجلَّ جعل لكل منهما أعمالاً، فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى، فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعًا، ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال.

ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله، فمن مات على ذلك – فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار، والصدقة والإحسان – فهو من أهل النار قطعًا، كالنصارى الذين يبنى أحدهم صومعة في البرية، ويزهد في الدنيا، ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله، تعالى الله عن ذلك، قال الله عزَّ وجل ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[2]، وقال تعالى ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾[3].

فرحم الله امْرأً تنبه لهذا الأمر العظيم قبل أن يعَضَّ الظالم على يديه ويقول ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾[4].

نسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا، وطريق الضالين، وهم العباد الجهال، فما أعظم هذا الدعاء، وما أحوج من دعا به أن يُحضر قلبه في كل ركعة إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى أن يهديه وأن ينجيه، فإن الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في «الفاتحة» إذا دعا به الإنسان من قلب حاضر.

فنقول:

---

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا، ونفع به بمؤلفاته، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام، وانظر لزامًا كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩)، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

[2] سورة الفرقان: ٢٣ .

[3] سورة إبراهيم: ١٨ .

[4] سورة الفرقان: ٢٧ .

«لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية – ملة إبراهيم –، وهي التي جعلها الله عزَّ وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسماوات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1]، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[2]، وقال معنى هذه الكلمة، وأما التلفظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار.

فاعلم أن معنى هذه الكلمة نفي الإلٰهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى ﴿إن كل من في السمٰوات والأرض إلا آت الرحمٰن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾[3]، وقال تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰن وقال صواباً﴾ [4]، وقال تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [5] الآية.

فإذا قيل: (لا خالق إلا الله)؛ فهذا معروف، لا يخلق الخلق إلا الله، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل (لا يرزق إلا الله)؛ فكذلك، فإذا قيل «لا إله إلا الله» فكذلك، فتفكر رحمك الله في هذا، واسأل عن معنى «الإله» كما تسأل عن معنى الخالق والرازق.

واعلم أن معنى «الإله» هو المعبود، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلٰهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد، وهو الله وحده تبارك وتعالى علوًّا كبيراً.

والعبادة أنواع كثيرة، لكني أمثلها بأنواع ظاهرة لا تنكر، من ذلك السجود، فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي.

ومن ذلك الذبح، فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده، كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له﴾[6]، والنسك هو الذبح وقال ﴿فصَلِّ لربك وانحر﴾[7]، فتفطن لهذا.

واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فكما لو سجد له، وقد لعنه رسول الله ﷺ، في الحديث الصحيح قال: لعن الله من ذبح لغير الله.[1]

---

[1] سورة الذاريات: ٥٦ .

[2] سورة النحل: ٣٦ .

[3] سورة مريم: ٩٣ – ٩٥ .

[4] سورة النبأ: ٣٨ .

[5] سورة النحل: ١١١ .

[6] سورة الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣ .

[7] سورة الكوثر: ٢ .

ومن أنواع العبادة الدعاء، كما كان المؤمنون يدعون الله وحده ليلاً ونهاراً، في الشدة والرخاء، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة، فتفكر رحمك الله فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفراً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عمَّن يَنْهَبُهُ[٢]، وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر، فيستغيث بعبد القادر أو شمسان أو نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن «الإله» هو المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً عاجزاً، وتترك الحي القيوم الحاضر الرءوف الرحيم القدير؟!

فقد يقول هذا المشرك: (إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه)، ويظن أن ذلك يسلِّمه من الشرك!

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[٣]، وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [4]، وإلا فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ [5].

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [6]، وقال ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[٧]، فما بعد هذا البيان بيان إذا كان الله عزَّ وجل قد حكى عن الكفار أنهم مقرون أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا مِن الذين يعتقدون فيهم التقرب والشفاعة عند الله تعالى.

وكم آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله﴾ إلى قوله ﴿فأنى تسحرون﴾[٨]، وكقوله ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ [1]، ﴿ولئن

---

[١] رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[٢] أي: يدخل على صاحب القبر يطلب منه أن يعيذه أن يُنتهب ماله في سفره.

[٣] سورة يونس: ١٨ .

[4] سورة الزمر: ٣ .

[5] سورة يونس: ٣١ .

[6] سورة النساء: ٤٨ .

[٧] سورة المائدة: ٧٢ .

[٨] سورة المؤمنون: ٨٤ . ٨٩ .

سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ الآية[٢]، وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم أنهم أقروا بهذا لله وحده، وأنهم ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة، لا غير ذلك.

فإن احتج بعض المشركين أن أولئك يعتقدون في الأصنام وهي حجارة وخشب، ونحن نعتقد في الصالحين؛ قيل له: والكفار أيضاً منهم من يعتقد في الصالحين، مثل الملائكة وعيسى بن مريم، وفي الأولياء مثل العُزَير واللات والعُزى وناس من الجن وغيرهم، وذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في كتابه فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾[3]، وقال ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[٤].

وقال فيمن اعتقد في عيسى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ الآية[٥]، وقال ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾[٦]، فإذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا، فكيف بعبد القادر وغيره أن يملك ضرّاً أو نفعاً؟!

وقال في حق الأولياء ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [7].

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعُزيراً والمسيح، فقال الله: هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.[٨]

فرحِمَ الله امْرأً تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وعرف أن الذين اعتقدوا فيهم إنما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده، وهذا كله يدور على كلمتين:

الأولى: أن تعرف أن الكفار يعرفون أن الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الأمر وحده، وإنما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى.

---

[1] سورة العنكبوت: ٦١ .

[٢] سورة العنكبوت: ٦٣ .

[3] سورة سبأ: ٤٠- ٤١ .

[٤] سورة الأنبياء: ٢٨ .

[٥] سورة النساء: ١٧١ .

[٦] سورة المائدة: ٧٦ .

[7] سورة الإسراء: ٥٦ . ٥٧ .

[٨] انظر تفسير الآية المذكورة في تفسير الطبري.

والثانية: أن تعرف أن منهم أناساً يعتقدون في أناس من الأنبياء والصالحين، مثل عيسى والعزير والأولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الأصنام من الحجر والشجر واحداً، فلما قاتلهم رسول الله ﷺ لم يُفرِّق بين الذين يعتقدون في الأوثان من الخشب والحجر وبين الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين، على أن أهل زماننا هذا يعتقدون في الحجارة على القبور والشجر الذي عليها.

إذا تبين هذا وأنه ليس من دين الله، وقال بعد ذلك المشرك: (هذا بيِّن، نعرفه من أول)؛ فقل له: إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومِن الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين، وأنت عرفت هذا بلا تعلم، فأنت أعلم منهم!

بل الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾[٢].

فإذا كان هذا نبينا؛ فما بال الخليل إبراهيم عليه السلام يوصي بها أولاده وهم أنبياء؟ قال تعالى ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [3]، و﴿قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [4]، فإذا كان هذا أمر لا يُخاف على المسلمين منه، فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال ﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[٥]؟

وما بال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور جعله في هذا الأمر وكثَّر الكلام فيه، وبينه، وضرب فيه الأمثال، وحذَّر منه، وأبدى وأعاد؟

فإذا كان الناس يفهمونه بلا تعلم، ولا يُخاف عليهم من الوقوع فيه؛ فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وأنت يا مَنْ مَنَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما مِن إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت: (هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً)؛ لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لا بدَّ من بُغضهم، وبُغض من يحبهم، ومَسَبتهم ومعاداتهم، كما قال أبوك إبراهيم والذين معه ﴿إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله

---

[1] سورة محمد: ١٩ .

[٢] سورة الزمر: ٦٥- ٦٦ .

[3] سورة البقرة: ١٣٢ .

[4] سورة لقمان: ١٣ .

[٥] سورة إبراهيم: ٣٥ .

كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[1]، وقال تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الآية[2]، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[3].

ولو يقول رجل: (أنا اتَّبع النبي ﷺ، وهو على الحق، لكن لا أتعرض اللات والعزى، ولا أتعرض أبا جهل وأمثاله، ما عليَّ منهم)؛ لم يصح إسلامه.

وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت ما أمَروا الناس بهذا ولا رضوا به؛ فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم ولا قرَّبوا من قربوا إلا بهذا، وإذا رأوا رجلاً صالحاً استحقروه، وإذا رأوا مشركاً كافراً تابعاً الشيطان قرَّبوه وأحبوه وزوَّجوه بناتهم، وعدُّوا ذلك شرفاً!

وهذا القائل يَعلم أن قوله ذلك كذب، فإنه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: (جاءتني شدة فنَخَيْتُ[4] الشيخ أو السيد فنذرت له فخلصني)؛ لم يجسر أن يقول هذا القائل: (لا يضر ولا ينفع إلا الله)، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت، بل لو قدَروا على قتله لقتلوه، وبالجملة؛ لا يقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه، وتخويفُهم الناس، وذِكرهم السَّوالف[5] الكفرية التي بآبائهم شيء مشهور لا ينكره من عرف حالهم، كما قال تعالى ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾[6].

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر، قال تعالى في حق الكفار ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾[7]، فذكر عن الكفار أنهم إذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا إذا جاءتهم الشدة والضر نحوا غير الله، سبحانه وتعالى عن ذلك.

فرحِمَ الله مَن تفكَّر في هذه الآية وغيرها من الآيات، وأما مَنْ مَنَّ الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى، وإن أشكل عليه شيء فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله، ولا يبادر بالإنكار، لأنه إن ردَّ ردَّ على الله، قال الله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾.[8]

---

[1] سورة الممتحنة: ٤ .

[2] سورة البقرة: ٢٥٦ .

[3] سورة النحل: ٣٦ .

[4] أي استنخيته، والمعنى استثرت فيه نخوته ليغيثني.

[5] السوالف أي القِصص.

[6] سورة التوبة: ١٧ .

[7] سورة الإسراء: ٦٧ .

[8] سورة السجدة: ٢٢ .

واعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة، لم يفطن له، من ذلك قوله في «البردة»:

يا أكـرم الخلـق مـا لي مـن ألـوذ بـه سِـواكَ عنـد حلـول الحـادث العَمِـمِ

وفي «الهمزية»[1] جنس هذا وغيره أشياء كثيرة، وهذا من الدعاء الذي هو من العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده، وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: (كيف هذا؟)؛ فقل له: أعلم منه وأجل: أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين حين قالوا ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ [2]، فإذا خفي هذا على بني إسرائيل مع جلالتهم وعلمهم وفضلهم فما ظنك بغيرهم؟

وقل لهذا الجاهل: أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد ﷺ، لما مروا بشجرة قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾.[3]

ففي هذا عبرتان عظيمتان:

الأولى: أن النبي ﷺ صَرَّح أن مَن اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه قد اتخذها إلهاً، وإلا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق، وإنما ظنوا أن النبي ﷺ إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة.

والعبرة الثانية: أن الشرك قد يقع فيمن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قيل: (الشرك أخفى من دبيب النمل)[4]، بخلاف قول الجاهل: (هذا بيِّنٌ نعرفه).

---

[1] «الهمزية» منظومة أبيات فيها غُلو فاحش بالنبي ﷺ يصل إلى مساواته بالله في بعض صفاته، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

[2] سورة الأعراف: ١٣٨ .

[3] رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

[4] روى أبو يعلى في «مسنده» (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر – أو قال: حدثني أبو بكر – عن النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهًا آخر. فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.

ثم قال: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم.

والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتَخْرُجَنَّ مما قلت أو لنأتينَّ عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أَخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

فإذا أشكل عليك من هذا شيء، وأردت بيانَهُ من كلام أهل العلم، وإنكارهم جنس الشرك الذي حرمه الله؛ فهو موجود، وأعني كلام العلماء في هذا إن أردت من الحنابلة، وإن أردت من غيـرهم، والله أعلم.[1]

رواه أحمد في «مسنده» (٤/٤٠٣) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾: قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتـك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

[1] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في كتاب «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/١٠٠ – ١١٢).

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سُئِل الشيخ محمد بن الوهاب[1] رحمه الله عن معنى «لا إله إلا الله» فأجاب:

اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عَقِبِه[2] لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصلُّون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها وبغضِ من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: (من قال لا إله إلا الله مخلِصاً)[3]، وفي رواية: (خالصًا من قلبه)[4]، وفي رواية: (صادقًا من قلبه)[5]، وفي حديث آخر: (من قال «لا

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] أي في ذريته.

[3] روى ابن حبان (٢٠٠) وأحمد (٢٣٦/٥)، واللفظ لابن حبان، عن جابر رضي الله عنهما أن معاذًا لما حضرته الوفاة قال: اكشفوا عني سَجْفَ القُبة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن «لا إله إلا الله» مخلصًا من قلبه دخل الجنة.
وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ «صحيح ابن حبان»، وكذا محققو «المسند».
والسَّجْف هو الستر. انظر «لسان العرب».

[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» خالصًا من قلبه، أو نفسه.
رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٣٧٣/٢).
ولفظ أحمد: خالصة من قِبَل نفسه.

[5] الصواب: (صِدقًا من قلبه)، والحديث رواه البخاري (١٢٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ – ومعاذ رديفه على الرَّحل – قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثا. قال: ما من أحد يشهد أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» صدقًا من قلبه إلا حَرَّمه الله على النار. قال: يا رسول الله، أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذًا يتَّكلوا.
وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً. انتهى.
ومعنى قوله (إذًا يتَّكلوا) أي لا تخبرهم فيعتمدوا على مجرد النطق بها دون تحقيق معناها، ففعل معاذ ذلك ولم يخبر بالحديث، ولكن لما دنا أجله أخبر بالحديث خشية الوقوع في إثم كتمان العلم.
وفي الباب عن رِفاعة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالكَديد – أو قال: بقُديد – فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بالُ رجال يكون شقُّ الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر؟ فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا. فقال رجل: إن الذي يستأذنك بعد هذا لسَفِيه. فحمد الله وقال حينئذٍ: أشهد عند الله؛ لا يموت عبد يشهد أن «لا إله إلا الله، وإني رسول الله» صدقًا من قلبه، ثم يُسدَّد؛ إلا سلك في الجنة.
رواه أحمد في «المسند» (١٦/٤)، وصحح إسناده محققو «المسند» حفظهم الله.

إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله)[1]، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

واعلم أن هذه الكلمة نفيٌ وإثبات، نفيُ الإلٰهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين، حتى محمد ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل، فضلاً عن غيرهما من الأولياء[2] والصالحين، وإثباتها لله عز وجل.

إذا فهمت ذلك؛ فتأمل الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل.[3]

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا «السر» و «الوِلاية»، والإله معناه الولي الذي فيه السِّر[4]، وهو الذي يسمونه «الفقير» و«الشيخ»، وتُسَمِّيه العامة «السيد»، وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين[5] يسميهم الأولون « الإلٰه[6]»، والواسطة هو «الإلٰه»، فقول الرجل «لا إله إلا الله» إبطال للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مُقِرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلُق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى ﴿قل من يرزقكم

وروى مسلم (٣٨٥) واللفظ له وابن خزيمة (٢١٨/١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال المؤذن: «الله أكبر، الله أكبر» فقال أحدكم: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، ثم قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله»؛ قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله» ثم قال: «حي على الصلاة»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «حي على الفلاح»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «الله أكبر، الله أكبر»؛ قال: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «لا إله إلا الله»؛ قال: «لا إله إلا الله» من قلبه؛ دخل الجنة.

وروى ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ (آل عمران: ٢٠) عن الربيع في قوله ﴿فقد اهتدوا﴾؛ قال: من تكلم بهذا صدقًا من قلبه – يعني الإيمان – فقد اهتدى.

[1] رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

[2] في نسخة: الأنبياء.

[3] أي: أن يكون لهم مثقال حبة خردل من هذه الألوهية.

[4] التسمية بـ «السر» هو إشارة لألوهية بعض من يوصف بالوِلاية عند بعض عامة الناس، وانظر ما قاله رحمه الله في تسمية ما عبد من دون الله بـ «السر» في «الدرر السنية» (٤١/٢)، والتسمية بـ «السيد» في «الدرر السنية» (٧٠/١).

[5] هكذا في المطبوع من النسختين، ولعل الأولى: هم الذين ...

[6] في نسخة مجموع «المؤلفات»: «الآلهة».

من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾[1].

وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة؛ وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله ومُقرُّون به، ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفًا من الله عزَّ وجل.

ولكن الأمر الثاني هو الذي كفَّرهم وأحل دماءهم وأموالهم؛ وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أن لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذَر لغيره، لا لِمَلَكٍ مُقَرَّب، ولا نبي مُرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر، إذا عرفت هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله»، وعرفت أن من نخا[2] نبيًّا أو مَلَكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ .

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مُقرَّبون، ونحن ندعوهم وننذر لهم ونَدخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر، فقل:

كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يَدْعون عيسى وعُزَيرًا والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما قال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[3]، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[4].

فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً، وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينحَون عيسى والملائكة والأولياء، يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار – خصوصًا النصارى منهم – من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن الناس، وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له؛

---

[1] سورة يونس: ٣١ .

[2] أي استثار نخوته بأن طلب منه العون، ومقصود المؤلف الإشارة إلى فعل المشركين من طلب العون من غير الله، نبيًّا أو غيره.

[3] سورة الزمر: ٣ .

[4] سورة يونس: ١٨٣ .

تبين[1] لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ.[2]

فالله الله يا إخواني، تمسَّكوا بأصل دينكم، وأولِهِ وآخرِهِ، وأُسِّـهِ ورأسِهِ؛ شهادة «أن لا إله إلا الله»، واعرِفوا معناها، وأحِبوها، وأحبُّوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبْغِضُوهم، وأَبْغِضُوا مَن أحبهم أو جادل عنهم أو لم يُكَفِّرهم، أو قال: (ما عليَّ منهم)[3]، أو قال: (ما كلَّفني الله بهم)، فقد كذَب على الله وافترى، فقد كلَّفه الله تعالى بهم، وافتـرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده، فالله الله يا إخواني، تمسكوا بذلك[4] لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئًا، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تُبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا﴾[5]،

---

[1] قوله (تبين) معطوفة على (عرفت) في أول الفقرة.

[2] ورد الخبر بغربة الإسلام في أربعة أحاديث صحيحة، وهي:

الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (١٤٦) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرِزُ بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.

ومعنى (يأرز) أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي على مسلم».

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (١٤٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٩٨٦)، قال: قال رسول الله ﷺ: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء.

الثالث: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه الترمذي (٢٦٢٩) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

الرابع: روى أحمد في مسنده (١٨٤/١) واللفظ له، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٩/٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:

إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده؛ ليأرِزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد.

[3] هذه عبارة عامية عند أهل نجد تعني: ليس لي شأن بهم، أي لا أحب الطواغيت ولا أكرههم.

[4] أي بأصل دينكم، وهو الأمر المذكور في بداية القطعة.

[5] سورة الإسراء: ٦٧ .

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادات والمشائخ[1]، فلم يدعوا أحدًا منهم ولم يستغيثوا به، بل يُخلِصُون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر يستغيث بغير الله، مثل معروف[2] أو عبد القادر الجيلاني، وأجلُّ من هؤلاء، مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجلُّ من هؤلاء، مثل رسول الله ﷺ، فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس – ويقال له الأشقر – ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على خير خلقه، محمد، وآله وصحبه أجمعين.[3]

---

[1] لعل الصواب: المشايخ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب»، مادة: شيخ.

[2] أي معروف الكرخي.

[3] انتهى كلامه رحمه الله، وكلامه مثبت في كتاب «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/١١٦ – ١٢٠) و«مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١/٣٦٣ – ٣٦٩)، وبينهما فروق يسيرة، وقد انتقيتُ منها ما هو أليق بالسياق، والله أعلم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، أجزل الله له الأجر والثواب، وأسكنه الجنة بغير حساب:

هذه كلمات في معرفة شهادة أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، وقد غلط أهلُ زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بأدلة على ذلك تلتبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله»، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ... الحديث.[2]

وكذلك قوله ﷺ لما سُئل عن شفاعته؛ من أحق بها يوم القيامة؟

قال: من قال «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه.[3]

وقوله ﷺ: من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» دخل الجنة.[4]

وكذلك حديث عتبان: فإن الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله.[5]

وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها، أو سمعها من غيره؛ طابت نفسُهُ وقرَّت عينُهُ، واستفزَّهُ المساعدُ[6] على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله، أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له، لم

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] رواه البخاري في «الصحيح»، (١٣٩٩، ١٤٠٠) ولفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا «لا إله إلا الله»، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟

فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق.

[3] تقدم تخريجه.

[4] رواه أبو داود (٣١١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥)، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

[5] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

[6] لعله يقصد بالمُساعِد قرين الإنسان من الشياطين ممن يأمر بالشر، فإن لكل إنسان قرينًا، ودليله حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم (٢٨١٥) أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغِرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: مالكِ يا عائشة، أغِرتِ؟

فقلت: وما لي لا يَغار مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟

قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟

يرَ ذلك شركاً ولا محرماً ولا مكروهاً، فإذا أنكر عليه أحدٌ بعض ما ينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله؛ اشمأز ونفر، وعارض بقوله: (قال رسول الله، وقال رسول الله)، وهذا لم يدر حقيقة الحال، فلو كان الأمر كما قال؛ لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة: والله لو منعوني عناقاً، أو قال عقالاً، كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم عليه. [1]

أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم)[2]، (فإنهم شر قتيل تحت أدِيم[3] السماء)[4].

أفيظن هذا الجاهل أن الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وقال ﷺ: يخرج في هذه الأمة (ولم يَقُل: منها) قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو حناجرهم – .[5]

قال: نعم.

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم.

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلمَ.

[1] انظر «صحيح البخاري»، (١٣٩٩، ١٤٠٠).

[2] رواه البخاري (٦٩٣٠) وتمامه: فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة، ومسلم (١٠٦٦)، عن علي رضي الله عنه.

[3] أديم السماء هو ما ظهر منها. انظر «لسان العرب».

[4] ما بين القوسين هو من كلام أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، رواه عنه أحمد في «المسند» (٢٥٣/٥) عن أبي غالب قال:

لما أُتِي برؤوس الأزارقة فنُصِبت على دَرَج دمشق؛ جاء أبو أمامة، فلما رآهم دمعت عيناه فقال: كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قُتِلوا تحت أديم السماء، وخير قَتلَى قُتِلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء.

قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟

قال: رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام.

قال: قلنا: أبرأيك قلت هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟

قال: إني لجريء، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا ثنتين ولا ثلاث، قال: فعدَّ مرارًا.

قلت: حسَّنه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله كما «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٤٠٩/١).

والأزارقة فرقة من فرق الخوارج.

[5] رواه البخاري (٦٩٣٠) وقد ضبطت النص منه، ومسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد جاء في وصفهم أيضًا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٥٠٥٨) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين

وكذلك أهل حلقة الذِّكر لما رآهم أبو موسى في المسجد، في كل حلقة رجل يقول: سبِّحوا مائة، هلِّلوا مائة ... الحديث.

فلما أنكر عليهم صاحب رسول الله ﷺ قالوا: والله ما أردنا إلا الخير.

قال: كم من مُريدٍ للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو قال: تراقيهم[1].

وايمُ الله، لا أدري أن يكون فيكم أكثرهم.

فما كان إلا قليلاً حتى رأوا أولئك يُطاعِنون[2] أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج[3]!

أفيظن هذا الجاهل المشرك أنهم يشركون لكونهم يُسبحون ويُهللون ويُكبرون؟

كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النَّصل فلا يرى شيئًا، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا، وينظر في الرِّيش فلا يرى شيئًا، ويتمارى في الفُوق.

[1] قال ابن الجوزي في «غريب الحديث»: الترقوة: العظم المشرف في أعلى الصدر، وهما ترقوتان، والجمع تراقي.

[2] يعني: يحاربون، كنَّى بالطِّعان عن المحاربة.

[3] رواه الدارمي في «سننه»، المقدمة، باب كراهة أخذ الرأي، ونصه:

أخبرنا الحكم بن المبارك، أنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال:

كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرَج إليكم أبو عبد الرحمٰن بعدُ؟

قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا، فقال له أبو موسى:

يا أبا عبد الرحمٰن، إني رأيت في المسجد أنفا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا.

قال: فما هو؟

فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حِلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصًا، فيقول: (كبِّروا مائة)، فيكبرون مائة، فيقول: (هلِّلوا مائة)، فيهللون مائة، ويقول: (سبِّحوا مائة)، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟

قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك – أو انتظار أمرك – .

قال: أفلا أمرتَهم أن يعُدُّوا سيئاتهم، وضَمِنت لهم أن لا يَضيع من حسناتهم؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن، حصًا نَعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضِيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مُريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايمُ الله، ما أدري لعل أكثرهم منكم.

ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يُطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ، يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويُصَلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس، ويحجون معه، قال الله تعالى ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[1]، أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وكذلك قاتل النفس بغير الحق يقتل، أفيظن هذا الجاهل أنه لم يقل «لا إله إلا الله»، وأنه لم يقلها خالصاً من قلبه؟

فسبحان مَن طبع على قلب من شاء من عباده، وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسلك البهائم والدواب، ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾[2]، حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب إلى العلم والفقه: قِبلتُنا مَن أمَّها لا يَكفر.[3]

فـ «لا إله إلا الله» نفي وإثبات الإلٰهية كلها لله، فمن قصد شيئاً من قبر أو شجر أو نجم، أو ملَكٍ مقرب، أو نبي مرسل، لجلب نفع وكشف ضُر، فقد اتخذه إلٰهاً من دون الله، مكذِّب بـ «لا إله إلا الله»، يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

فإن قال هذا المشرك: (لم أقصد إلا التبرك، وإني لأعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر)؛ فقل له: إن بني إسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت، كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر ﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة﴾، فأجابهم بقوله ﴿إنكم قوم تجهلون﴾[4]، الآيتين.

وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى «حُنين» ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: (يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة﴾، لتركبُن سَنن من كان قبلكم.[5]

وقال تعالى ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾[6]، وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره: كان يلت السَّويق[7] للحاج فمات، فعكفوا على قبره.

فيرجع هذا المشرك يقول: (هذا في الشجر والحجر، وأنا اعتقد في أناس صالحين، أنبياء وأولياء، أريد منهم الشفاعة عند الله، كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله)!

---

[1] سورة النساء: ١٤٥ .

[2] سورة الفرقان: ٤٤ .

[3] أي: من توجَّه إلى القبلة في صلاته – وهي الكعبة – فإنه لا يكفر، ولو عمل ما عمل! هكذا قالوا.

[4] سورة الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩ .

[5] رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

[6] سورة النجم: ١٩ .

[7] السويق هو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحَلق، واللت هو الخلط بالماء أو السمن. انظر «المعجم الوسيط» و«تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

فقل له: هذا دين الكفار بعينه، كما أخبر سبحانه بقوله ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[1]، وقوله ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[2].

وقد ذُكر أن[3] أناساً يعبدون المسيح وعزيراً، فقال الله: هؤلاء عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجونها، ويخافون عذابي كما تخافونه، وأنزل الله سبحانه ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ الآيتين[4].[5]

وقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك﴾ الآيتين[6].

والقرآن، بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها، مصرِّحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسوله، وأنهم أولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملاً منهم،

كما قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[7].

وقال تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[8].

وقال تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[9]، قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له أكفاء من الرجال، تطيعونهم في معصية الله.[10]

وقال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت.

قال: أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده.[11]

---

[1] سورة الزمر: ٣ .

[2] سورة يونس: ١٨ .

[3] (أن) ليست في المطبوع، فلعلها ساقطة فأثبتُّها، لأنه لا يستقيم الكلام بدونها.

[4] سورة الإسراء: ٥٦ – ٥٧ .

[5] انظر تفسير الطبري للآية المذكورة.

[6] سورة سبأ: ٤٠ – ٤١ .

[7] سورة النساء: ٤٨ .

[8] سورة الفرقان: ٢٣ .

[9] سورة البقرة: ٢٢ .

[10] انظر تفسير الطبري للآية المذكورة.

[11] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى» (10759) (الناشر: مؤسسة الرسالة) بلفظ: أجعلتني لله عِدلاً.

ورواه البيهقي (٣/٢١٧) وأحمد (١/٢١٤) بلفظ: أجعلتني والله عِدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قال محققو «المسند»، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

وللفائدة، فقد روى النسائي في «الكبرى» (10758) عن جابر رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه فقال: ما شاء الله، (يعني: وشئت).

وقال ﷺ لأصحابه: أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.

فقال: ويلك، أجعلتني والله عِدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده.

وروى الطيالسي (٤٣١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٨٤/٥) بلفظ: قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

وروى أحمد في «مسنده» (٧٢/٥) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مَرَّ برهط من اليهود فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن اليهود.

قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن عُزيرًا ابن الله.

فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد).

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن النصارى.

فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (المسيح ابن الله).

قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وما شاء محمد).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدًا؟

قال عفان: قال: نعم.

فلما صلوا خطَبَهُم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أنهاكم عنها، قال: لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

ورواه عبد الرزاق (١٩٨١٣) في مصنفه، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (١٩٩٨).

وروى البيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) والنسائي في «المجتبى» (٣٧٨٢) – واللفظ للبيهقي – عن قتيلة بنت صيفي الجهني قالت: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نِعمَ القوم أنتم لولا أنتم تُشرِّكون.

قال: سبحان الله! وما ذلكم؟

قال: تقولون إذا حلفتم: بالكعبة.

فأمهل النبي ﷺ ثم قال: من حلف فليحلف برب الكعبة.

ثم قال: نِعمَ القوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء فلان.

فأمهل رسول الله ﷺ ثم قال: من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما: ثم شئت.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

قال محققو «المسند» (٣٠٠/٣٨) وفقهم الله: ويُقاسُ على هذا كل لفظ يوهم التسوية بين الخالق وبين المخلوق، مثل قول العامة وأشباههم: توكلنا على الله وعليك، وما لي غير الله وغيرك، وباسم الله والشعب، مما ينبغي تجنبه والانتهاء عنه والتوبة منه، أدبًا مع الله سبحانه.

فسُئل عنه فقال: الرياء.[1]

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قَبل قوم نوح كما ذكر الله، وهي كلها ووُقوفها[2] وسِدانتها[3] وحِجابتها[4] والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طَبَّقَ الأرض[5]، قال إمام الحنفاء ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[6]، كما قص الله ذلك عنهم في القرآن، وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين.

وكفى في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعْثَ النار[7] من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون[8]، قال الله تعالى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾[9]، وقال ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾[10]، وقال ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[11].

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، بعث محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، وما زال في كل جيل مشهورًا، وفي توراة موسى وإنجيل عيسى مذكورًا، إلى أن أخرج الله تلك الدرة بين بني كنانة وبني زُهرة، فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السبل، فكان له ﷺ من الآيات

---

[1] رواه أحمد (٤٢٨/٥) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.
قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟
قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جُزِيَ الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.
قال محققو «المسند»: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح.

[2] وُقوفها جمع وقف، أي الأوقاف المخصصة لها.

[3] السدانة هي الخِدمة، والسادن هو الخادم.

[4] حجابتها أي حفظها والقيام عليها. انظر «النهاية».

[5] أي مَلَأها.

[6] سورة إبراهيم: ٣٥ .

[7] أي الذين يبعثون لدخول النار.

[8] رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[9] سورة الإسراء: ٨٩ .

[10] سورة الأنعام: ١١٦ .

[11] سورة يوسف: ١٠٣ .

والدلالات على نبوته قبل مبعثه ما يُعجز أهل عصره، فمن ذلك قوله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام.[1]

ووُلِد ﷺ ليلة الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، عام الفيل، وانشق إيوان[2] كسرى ليلة مولده، حتى سُمع انشقاقه، وسقط أربع عشرة شُرفة[3]، وهو باقٍ إلى اليوم آية من آيات الله، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك، وغاضت بحيرة «ساوة»، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق، عراق العجم وهمدان، تسير فيها السفن، وهي أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة كأن لم يكن بها ماء، واستمرت على ذلك حتى بُني مكان «ساوة»، وباقية إلى اليوم.

وأُرسلت الشهب على الشياطين، كما أخبر الله بقوله ﴿وأنَّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾[4]، وأنبته الله نباتاً حسناً، وكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلُقاً، وأعزُّهم جِواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، حتى سماه قومه (الأمين)، لِما جعل الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية.

وَوَصل بُصرى من أرض الشام مرتين، فرآه بحيرا الراهب فعرفه، وأخبر عمه أنه رسول الله ﷺ وأمر بردِّه، فردَّه مع بعض غلمانه[5]، وقال لعمه: (احتفظ به، فلم نجد قدماً أشبه من القَدَمِ الذي بالمقام[6] من قدمه).[1]

---

[1] رواه أحمد (١٢٧/٤، ١٢٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٥)، وابن حبان (٣١٣/١٤)، وهذا لفظ ابن حبان: عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

وقال محققو «المسند»: حديث صحيح لغيره.

[2] الإيوان والإوان بيت مؤزج غير مسدود الوجه. انظر «أساس البلاغة».

[3] رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، خبر انشقاق الإيوان وخمود نار فارس، (١٢٦/١)، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[4] سورة الجن: ٩ .

[5] قال محمد بن سعد في «الطبقات»، باب «ذكر أبي طالب وضمه رسول الله ﷺ إليه، وخروجه معه إلى الشام في المرة الأولى»:

أخبرنا خالد بن خداش، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب، أو أبا طالب، – شك خالد – قال: لما مات عبد الله عطف على محمد ﷺ، فكان لا يسافر سفرًا إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب فقال: إن فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟

قال: فقال: هأنذا وليُّه، أو قيل: هذا وليه.

قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حُسُد، وإني أخشاهم عليه.

قال: ما أنت تقول ذاك، ولكن الله يقوله، فرُدُّه، وقال: اللهم إني أستودعك محمداً.

ثم إنه مات.

[6] أي: مقام إبراهيم.

واستمرت كفالة أبي طالب كما هو مشهور، وبُغِّضت إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك.

والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل، أما النقل فواضح، وأما العقل فنبَّه عليه القرآن، من ذلك تركُ الله خلقه بلا أمر ولا نهي لا يُنَاسب في حق الله، ونبه عليه في قوله ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾[٢].

ومنها أن قول الرجل: (إني رسول الله)؛ إما أن يكون خير الناس، وإما أن يكون شرهم وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل يُعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم﴾ الآيات[٣].

ومنها شهادة الله بقوله ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٤].

ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم، كما في الآية.

ومنها – وهي أعظم الآيات العقلية – هذا القرآن الذي تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية، فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له، علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به، ولم يتعَرَّضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وإدخال الشبه على الناس.

ومنها تمام ما ذكرنا؛ وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم.

ومنها نُصرة من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس.

ومنها خذلان مَن عَادَاه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقوَاهُم.

ومنها أنه رجل أمِّي لا يخط ولا يقرأ الخط، ولا أخذ عن العلماء، ولا ادَّعى ذلك أحدٌ من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم، ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الأولى، كما قال تعالى ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾[٥].

---

[١] وَهِمَ الشيخ رحمه الله، فالذي قال هذا قوم من بني مُدلج وليس بحيرا الراهب، وهذا نص كلام ابن سعد في «الطبقات الكبرى» باب «ذكر ضم عبد المطلب رسول الله ﷺ إليه بعد وفاة أمه، وذكر وفاة عبد المطلب، ووصية أبي طالب برسول الله ﷺ »:

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنا لم نَرَ قدمًا أشبه بالقدم التي في المقام منه.

فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

[٢] سورة الأنعام: ٩١ .

[٣] سورة الشعراء: ٢٢١– ٢٢٣ .

[٤] سورة الرعد: ٤٣ .

[٥] سورة العنكبوت: ٤٨ .

وقال رحمه الله تعالى[1]:

ولما بلغ أربعين سنة؛ بعثه الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرًا، ولما أتى قومه بـ «لا إله إلا الله» قالت قريش ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً﴾.

قال الترمذي: حدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وزيد بن مروان، وغيرهم، قالوا:

قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا عشر سنين، يوافي الموسم كل عام فيقول: (أيها الناس قولوا «لا إله إلا الله» تُفلِحُوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة)، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه، فإنه صابئ كذاب، فيردون عليه أقبح الرد.[2]

ولما أمره الله بالهجرة هاجر، وأظهر الله دينه على الدِّين كله، وقاتل جميع المشركين، ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر، ومازال يعلم الناس التوحيد، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد، حتى أزال الله الجهل والجهال، وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال.

وعن أنس قال: قال أناس: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا.

---

[1] هذه رسالة أخرى للشيخ تقع بعد الأولى مباشرة في كتاب «الدرر» الذي نقلت منه.

[2] روى ابن سعد في «الطبقات»، باب ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم، عن عبد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان، قالوا:

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيًا، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم كل عام، يتبع الحاج في منازلهم في المواسم، بعكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس، قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكًا في الجنة.

وأبو لهب وراءه يقول: (لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك)، ويكلمونه ويجادلونه، ويكلمهم ويدعوهم إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا.

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٨٢/١) عن طارق المحاربي رحمه الله قال: رأيت رسول الله ﷺ مرَّ في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء، وهو يقول: (يا أيها الناس، قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا)، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوه فإنه كذاب.

فقلت: من هذا؟

قالوا: غلام بني عبد المطلب.

فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟

قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب.

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: هذا حديث صحيح.

انظر «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٤٤١/١).

فقال ﷺ: يا أيها الناس، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفَعُوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجل.[1]

وعن عبد الله بن الشِّخِّير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت: أنت سيدنا.

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.[2]

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله.[3]

ومازال ﷺ معلماً لأصحابه هذا التوحيد، ومحذراً من الشرك، حتى أتاهم وهم يتذاكرون الدجال فقال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظرِ رجلٍ.[4]

وحتى قال: لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يَرضَ فليس من الله.[5]

وحتى قال: لا يقل أحدكم: ما شاء الله وشاء فلان.[6]

وحتى قال: لا تقولوا: لولا الله وفلان.[1]

---

[1] حديث صحيح، رواه أحمد (١٥٣/٣، ٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨) (٢٤٩)، وابن حبان (٦٢٤٠)، وصححه محققو «المسند» وقالوا في (٢٣/٢٠): على شرط مسلم.

[2] حديث صحيح، رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأحمد (٢٤/٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، وتمامه:

قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طَولاً.

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان.

ومعنى طولاً: أي أعظمُنا عطاءً وعلُوًّا على الأعداء. انظر «عون المعبود».

[3] رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له، وأحمد (٢٣/١)، والدارمي (٢٧٨٧).

[4] رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني كما في «صحيح ابن ماجه».

وروى ابن خزيمة (٩٣٧) من طريق أبي خالد سليمان بن حبان وعيسى بن يونس، كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجَرَةَ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ فقال: أيها الناس، إياكم وشرك السرائر.

قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟

قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر.

ورواه ابن أبي شيبة (٨٤٠٣) «باب الرجل يحسن صلاته حيث يراه الناس»، عن سعد بن إسحاق به.

ورواه البيهقي في «الكبرى» (٢٩٠/٢-٢٩١) به عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ فقال: وذكره.

والحديث حسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١).

[5] رواه ابن ماجه (٢١٠١)، وصححه الألباني كما في «صحيح ابن ماجه».

[6] تقدم تخريجه.

وحتى قال: لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي.[٢]

وحتى قال: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.[٣]

وحَذَّرهم من الشرك بالله في الأقوال والأعمال، حتى قال: إنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم كتاب الله، فيه الهدى والنور، ومن تركه كان على الردى.[٤]

وحتى قال: إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.[٥]

وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت، والتحذير لنا من هذا الشرك، حتى قال: اللهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[٦]

---

[١] حديث ضعيف، رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٤٠٩) فقال: أخبرنا أحمد بن أيوب عن أبي حمزة السكري عن عبد الله بن يسار الجهني قال: أخبرتني امرأة منا أنها سمعت النبي ﷺ يخطب وهو يقول: لا يقول أحدكم: لولا الله وفلان، فإن كان لا بُدَّ فاعلاً فليقل: ولولا الله ثم فلان.

قال الشيخ أبو مالك الرياشي حفظه الله:

رجاله ثقات، غير أحمد بن أيوب شيخ ابن راهويه، قال عنه ابن حبان في «الثقات»: مستقيم الحديث.

إلا أن في سند الحديث انقطاعًا بين أبي حمزة السكري وعبد الله بن يسار الجهني، وذلك لأن عبد الله بن يسار من كبار الطبقة الثالثة، وأبي حمزة السكري من الطبقة السابعة، وبينهما مفاوز، ويغني عنه الأحاديث الثابتة المتقدمة. انتهى.

[٢] رواه مسلم (٢٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ونصه: أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، كُلُّكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي.

[٣] رواه الترمذي (١٥٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

ورواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢)، وأبو عوانة (٥٩٦٧) بلفظ: من حلف بغير الله فقد أشرك.

وهذا اللفظ هو المعتمد كما قال الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله، فقد روى الترمذي هذا الحديث وشك الراوي فيه فقال: فقد كفر – أو أشرك – .

[٤] روى مسلم في صحيحه (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى «خُمًّا» بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

وفي رواية: كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل.

ورواه أحمد (٣٦٦/٤) وغيره.

ولم أجد في أي من الروايات التي وقفت عليها قوله: ومن تركه كان على الرَّدى.

[٥] رواه مسلم (٨٦٧)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، والنسائي في الكبرى (١٧٩٩)، واللفظ له، عن جابر رضي الله عنهما.

ورواه ابن ماجه (٤٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٦] رواه أحمد (٢٤٦/٢)، وأبو يعلى (٦٦٨١) والحميدي في «مسنده» (٤٤٥/٢).

وحتى قال: دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب ... الحديث.[1]

وحتى حذَّرهم عن الكفر بنعمة الله، قيل: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال بعضهم: هو كقوله: الريح طيبة، والملاح حاذق، ونحو ذلك.

ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين[2] الأحاديث: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله»)[3]، وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة)[4]؛ قال:

إن الصلاة من حقها، والزكاة من حقها، كما قال الصِّدِّيق لعمر، ووافقه عمر وسائرُهم[5] على ذلك، ويكون ذلك أنه إذا قالها قد شرع[6] في العصمة وإلا بطلت.

وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت، ليعلم المسلمون أن الكافر إذا قالها وجب الكفُّ عنه، ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين، ليُعلم أن تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة، وأما مجرد الإقرار فلا يعصِمُهم على الدوام[7]، كما وقعت لبعض الصحابة، حتى جلاها الصديق رضى الله عنه، ووافقه عمر[8].[9]

ورواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار مرفوعًا، وقد وصله البزار، ولفظه: (وثنًا يُعبَد).

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١١٨١٨) عن زيد بن أسلم مرسلاً، والحديث صححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» (ص ١٨)، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

[1] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠٢٨)، وأحمد في «الزهد»، كتاب المقدمة، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦١/١) عن سلمان الفارسي موقوفًا، وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله كما في تخريجه لأحاديث كتاب «التوحيد»، باب ما جاء في الذبح لغير الله.

[2] أي ابن تيمية رحمه الله.

[3] تقدم تخريجه.

[4] رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢)، ونصُّه: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.

[5] أي سائر الصحابة.

[6] أي إذا قالها فقد عُصِم دمه وماله، وإلا لم يكن معصوم الدم والمال.

[7] ينبغي التنبه إلى أن هذه العصمة تنتقض إذا ارتكب قائل الشهادتين ناقضا من نواقض الإسلام، كدعاء غير الله مثلاً.

[8] وكان هذا لما جحد أقوام فرضية الزكاة مع إقرارهم بفرضية الصلاة، فظن عمر أن قول «لا إله إلا الله» عاصم لدمائهم وأموالهم، فبين له أبو بكر أن من فرق بين الإقرار بفرضية الصلاة وفرضية الزكاة فقد نقض «لا إله إلا الله» كما تقدم في الحديث السابق.

[9] «شرح العمدة» (٦٢/٤ – ٦٣).

وقال أيضًا رحمه الله[1]:

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة؛ بعثه الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ونذكر قبل ذلك شيئاً من أمور الجاهلية وما كانت عليه قبل بعثته:

قال قتادة: ذُكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وشريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله لهم نوحاً، وكان أول رسول أرسل لأهل الأرض، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة﴾[2]، قال: على الإسلام.

وكان أول ما كادهم الشيطان به تعظيم الصالحين، كما ذكر الله ذلك في كتابه ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾[3].

قال الكلبي: هؤلاء قوم صالحون، فماتوا في شهر، فجزع عليهم أقاربهم، وقال لهم رجل: هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم؟

قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام، ونصبها لهم.[4]

وفي غير حديثه: قال أصحابهم: لو صورنا صورهم كان أشوَقَ لنا إلى العبادة، فكان الرجل يأتي أباه وابن عمه فيعظمه، حتى ذهب القرن الأول، ثم جاء القرن الآخر وعظموهم أشد من الأول، ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم، فعبدوهم.[5]

فلما بعث الله نوحاً، وأغرق من أغرق، وأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء بقيت على الشاطئ، فسَفَتِ[6] الريحُ عليها حتى وارتها، ثم عَمَر نوح وذريته الأرض، وبقوا على الإسلام ما شاء الله، ثم حدث فيهم الشرك.

وما من أمة إلا ويبعث الله فيها رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك، فمنهم عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد، بعث الله لهم هوداً عليه السلام، وكانوا في ناحية الجنوب بين اليمن وعمان، فكذبوه فأرسل الله عليهم الريح فأهلكتهم، ونجا الله هوداً ومن معه.

---

[1] هذه رسالة ثالثة للشيخ، تقع بعد الرسالة الثانية مباشرة في كتاب «الدرر» الذي نقلت منه.

[2] البقرة: ٢١٣ .

[3] سورة نوح: ٢٣ .

[4] كتاب «الأصنام» (ص٥١).

[5] رواه ابن الجوزي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في «التبصرة» (٣٥/١)، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، الناشر دار الكتاب المصري، مصر، ط ١ .

[6] أي سفت عليها التراب، حتى وارت تلك الأصنام وأخفتها.

ثم بعث الله صالحاً إلى ثمود، وكانوا بالشمال بين الشام والحجاز ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾[1]، فأرسل الله عليهم صيحةً فأهلكتهم، ونجا الله صالحاً ومن معه.

ثم بعد ذلك أخرج إليهم إبراهيم عليه السلام، وأهل الأرض إذ ذاك كلهم كفار، فكذبوه إلا ابنة عمه سارة، زوجته، ولوطاً أيضاً، فأكرمه الله ورفع قدره، وجعله إماماً للناس، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

ومنذ ظهور إبراهيم لم يُعدم التوحيد في الأرض، كما قال تعالى ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه[2] لعلهم يرجعون﴾[3]، وكان له ابنان، أحدهما إسحاق عليه السلام، وهو أبو بني إسرائيل، وإسرائيل يعقوب بن إسحاق، والثاني إسماعيل عليه السلام، وهو أبو العرب، وقصته وأمه مشهورة لما وضعها عليه السلام في مكة وكان هو في الشام، فنشأ إسماعيل عليه السلام في أرض العرب، فصار له ولأولاده وِلاية البيت ومكة.

فلم يزالوا بعده على دين إسماعيل، حتى نشأ فيهم عمرو بن لُحَي بن قمعة، فمَلَكَ مكة، وكان معظماً فيهم بسبب الدين والدنيا، فسار إلى الشام، ورآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وزينه لأهل مكة، ثم اقتدى بهم أهل الحجاز، وكان له رِئيٌّ[4] من الجن فأتاه، فقال: (عجِّل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة، تجد فيها أوثاناً معدة، فأورِدها تهامة ولا تهَب، ثم ادعُ العرب إلى عبادتها تُجَبْ).
فأتى جدة فاستثارها ثم حملها، فلما حضر الحج دعا العرب إلى عبادتها فأجابوه، ففرقها في كل قبيلة واحد[5]، فلم تزل تُعبد حتى بُعث رسول الله ﷺ فكسرها، وقال: رأيت عمرو بن عامر يجر قُصْبه[6] في النار.[7]

وكان أول من سيَّب السوائب[8]، وغيَّر دين إبراهيم، ونصب الأوثان، وكان أهل الجاهلية إذ ذاك فيهم بقايا من دين إبراهيم، مثل تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، وإهداء البُدن[9]، وكانت نِزار[1] تقول في إهلالها: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.[2]

---

[1] سورة فصلت: ١٧ .

[2] أي في ذريته.

[3] سورة الزخرف: ٢٨ .

[4] الرِّئي هو التابع من الجن يتعرَّض للرجل. انظر «النهاية».

[5] «الأصنام» للكلبي (ص ٥٤)، (تحقيق أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٤).

[6] أي أمعاءه.

[7] رواه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[8] السائبة هي الناقة، كانت تسيب، أي تترك ترعى في الصحراء، فلا تمنع من مرعى ولا تطرد عن ماء تعظيماً لها، يفعلون ذلك تقرباً لطواغيتهم التي كانوا يعبدونها، وانظر «صحيح البخاري» (٤٦٢٣).

[9] البدَنة هي الناقة التي تم لها خمس سنين، فهذه تُهدى للبيت، فتذبح ويقسم لحمها على فقراء مكة.

ومن أقدم أصنامهم (مناة) على ساحل البحر، بـ «قديد» بين مكة والمدينة، ولم يكن أحد أشد تعظيماً له من الأوس والخزرج، فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح، ثم اتخذوا اللات بالطائف، وكان أصله رجلاً صالحاً يلت السَّويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره، فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها.

ثم اتخذوا العزى، وكانت بوادي «نخلة»، وبنوا عليها بيتاً، وكانوا يسمعون منه الصوت، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة؛ بعث خالد بن الوليد فأتاها فعَضَدها[٣]، وكانت ثلاث سَمُرات[٤]، فلما عضد الثالثة إذ هو بجِنّيةٍ نافشة شعرها، فقال خالد:

يا عُـــزَّى كفرَانَـــك لا ســـبحَانكِ إني رأيـــت الله قـــد أهانَـــكِ

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَمة[٥].[٦]

وكان من العرب من يتعلق على الملائكة يريدون شفاعتهم، وهم بنو ملح، وكان منهم من يدعو الجن، وكانت النصارى تدعو عيسى وأمه، وكان من الناس من يدعو أناساً صالحين غير ما ذكرنا، وهو أول أنواع الشرك وقوعاً في الأرض كما تقدم، وامتلأت أرض العرب وغيرها من الأوثان والشرك بالله، وكان لكل قوم شيء يقصدونه غير ما كان عند الآخرين.

فلما بُعث رسول الله ﷺ بالتوحيد قالوا ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[٧].

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، وجعل يطعن في وجوهها ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾[١]، وهي تسَّاقط على رؤوسها، ثم أمر بها فأُخرجت من المسجد وحُـرِقت.[٢]

---

[١] نزار: حي من العرب، ينتسب إليهم النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر «زاد المعاد» (٧١/١).

[٢] روى مسلم في «صحيحه» (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: (لبيك لا شريك لك).

قال: فيقول رسول الله ﷺ: ويلكم قَـدِ قَـدِ.

فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

وقول النبي ﷺ: (قَـدِ قَـدِ) أي يكفي هذا، فاقتصروا عليه.

[٣] عضدها أي قطعها. انظر «مختار الصحاح».

[٤] السَّمُر ضرب من الشجر ذو شوك، صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء، يأكلها الناس، وليس في الشجر ذو الشوك شيء أجود خشباً من السمر، واحدتها سمرة. انظر «لسان العرب».

[٥] الحُمَم: الفحم البارد، الواحدة حِمَمة. انظر «كتاب العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي.

[٦] انظر «السنن الكبرى» للنسائي (١١٤٨٣)، و«مسند أبي يعلى» (٩٠٢)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١٩٨/١)، باب ما جاء في اللات والعزى.

[٧] سورة ص: ٥ .

وقال بعض الصحابة في اللات:

لا تنصـــروا الـــلات إن الله مُهلِكُهـــا وكيـــف ينصـــركم مـــن لـــيس ينتصـــرُ

إن الـــتي حُرقـــت بالسَّـــدِّ فاشـــتعلت فلـــم تقاتِـــل لـــدى أحجارهـــا هَـــدَرُ[٣]

وصلى الله على محمد.[٤]

---

[١] سورة الإسراء: ٨١ .

[٢] انظر حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٤٢٨٧، ٤٢٨٨)، ومسلم (١٧٨١).

[٣] قاله شداد بن عارض الجشمي حين هُدمت وحُرقت، ينهى ثقيفًا عن العود إليها والغضب لها. انظر «الأصنام» للكلبي (ص ١٧).

[٤] انتهى كلامه رحمه الله، وهو عبارة عن ثلاث رسائل متتالية، وهي مثبتة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٨٤ – ١٠٠).

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سُئل الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن[1] قدس الله روحه ونور ضريحه عما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: من قال «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عزَّ وجل.[2]

فأجاب:

اعلم أن «لا إله إلا الله» هي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام باقية في عقبه[3] لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الإلٰهية عما سوى الله، وإفراد الله تعالى بالإلٰهية.

والإلٰهية هي تأله القلب بأنواع العبادة، كالمحبة والخضوع، والذل والدعاء، والاستعانة، والرجاء والخوف، والرغبة والرهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي ذكر الله في كتابه العزيز، أمرًا وترغيباً للعباد أن يعبدوا بها ربهم وحده.

---

[1] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر، كالشيخ حسن القويسيني، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي، والشيخ عبد الله باسودان، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جم غفير من الطلبة، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات، أشهرها كتابه «فتح المجيد»، وهو مختصر لكتاب ابن عمه، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد»، وله أيضًا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية»، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاءً حسنًا في نصرة الإسلام، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود، والترجمة لحفيده، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن، رحمهم الله.

[2] رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

[3] أي ذريته.

وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وكل فرد من أفراد العبادة لا يستحق أن يُقصَد به إلا الله وحده، فمن صَرَفَه لغير الله فقد أشركه في حق الله الذي لا يصلح لغيره، وجعل له أنداداً.

وقد عمَّتِ البلوى بهذا الشرك الأكبر بأرباب القبور والأشجار والأحجار، واتخذوا ذلك ديناً، زعموا أن الله يحب ذلك ويرضاه، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ الآية[1]، وقال تعالى ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[2].

وقال[3] في معنى هذا التوحيد ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[4]، أي أمر ووَصَّى، وهذا معنى «لا إله إلا الله»، فقوله ﴿ألا تعبدوا﴾ هو معنى ﴿لا إله﴾ في كلمة الإخلاص، وقوله ﴿إلا إياه﴾ هو معنى الاستثناء في «لا إله إلا الله»، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كما سنذكر بعضه.

وقال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[5]، وهذا نهي عام يتناول كل مدعو من ملك أو نبي أو غيرهما، فإن ﴿أحداً﴾ نكرة في سياق النهي وهي تعم، وأمثال هذه الآية كثير، كقوله تعالى ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا﴾[6].
وفي حديث معاذ الذي في الصحيحين: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.[7]
وفيهما أيضًا: من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار.[8]

وإخلاص العبادة لله تعالى هو التوحيد الذي جحده المشركون قديماً وحديثاً، ولما قال رسول الله ﷺ لقومه وغيرهم من أحياء العرب: (قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا)[9]؛ قالوا ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[1].[2]

---

[1] سورة النساء: ٤٨ .

[2] سورة المائدة: ٧٢ .

[3] أي الله تعالى.

[4] سورة الإسراء: ٢٣ .

[5] سورة الجن: ١٨ .

[6] سورة الجن: ٢٠ .

[7] رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

[8] رواه البخاري (٤٤٩٧)، وأحمد (٣٧٤/١، ٤٢٥)، ولم يخرجه مسلم كما وَهِمَ المؤلف رحمه الله.
ولفظ البخاري: عن عبد الله قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى؛ قال النبي ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار.
وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.
ولفظ أحمد: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرى؛ قال رسول الله ﷺ يقول: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة.
قال: وقلت: من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار.

[9] تقدم تخريجه.

فعرفوا معنى «لا إله إلا الله» وأنه توحيد العبادة لكن جحدوه، كما قال عن قوم هود ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده﴾[٣]، وقال تعالى عن مشركي هذه الأمة ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾[٤]، عرفوا أن المراد من «لا إله إلا الله» ترك الشرك في العبادة، وأن يتركوا عبادة ما سواه مما كانوا يعبدونه من ملك أو نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك.

فإخلاص العبادة لله هو أصل دين الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو سِرُّ الخلق، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب﴾[٥]، وقال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[٦]، فإسلام الوجه هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة كلها لله تعالى.

وهذا هو توحيد الإلٰهية وتوحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة، ومن كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى وهي «لا إله إلا الله»، فإن مدلولها نفي الشرك وإنكاره، والبراءة منه، وإخلاص العبادة لله وحده، وهو معنى قول الخليل عليه السلام ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[٧].

وهذا هو الإخلاص الذي هو دين الله، الذي لم يرضَ لعباده ديناً سواه، كما قال تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾[٨]، والدين هو العبادة، وقد فسره أبو جعفر ابن جرير في تفسيره بالدعاء، وهو بعض أفراد العبادة، كما في

---

[١] سورة ص: ٥ — ٧ .

[٢] روى ابن جرير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وهم حوله جلوس، وعند رأسه مكان فارغ، فقام أبو جهل فجلس فيه، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، ما لقومك يَشكُونك؟

قال: يا عم، أريدهم على كلمة تَدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية.

قال: ما هي؟

قال: «لا إله إلا الله».

فقاموا وهم يقولون: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾، ونزَل القرآن ﴿ص * والقرآن ذي الذكر﴾، ذي الشَّرَف، ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾، حتى قوله ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحدًا﴾.

[٣] سورة الأعراف: ٧٠ .

[٤] سورة الصافات: ٣٥ — ٣٦ .

[٥] سورة الرعد: ٣٦ .

[٦] سورة لقمان: ٢٢ .

[٧] سورة الأنعام: ٧٩ .

[٨] سورة الزمر: ٢ — ٣ .

السنن من حديث أنس: (الدعاء مخ العبادة)[1]، وحديث النعمان بن بشير (الدعاء هو العبادة)[2]، أي معظمها، وذلك أنه يجمع من أنواع العبادة أموراً سنذكرها إن شاء الله تعالى.

وقال تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[3]، وقال ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾[4]، وقال تعالى ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾[5]، والدعاء في هذه الآية هو الدعاء بنوعيه؛ دعاء العبادة ودعاء المسألة.

وقال ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[6]، والحنيف هو الراغب عن الشرك، المنكر له، وقد فسره ابن القيم رحمه الله بتفسير شامل لمدلول «لا إله إلا الله» فقال: (الحنيف: المُقبل على الله، المُعرض عن كل ما سواه)[7]، وهذا التوحيد هو الذي أنكره أعداء الرسل من أولهم إلى آخرهم.

وقد بيَّن تعالى ضلالهم بالشرك، كما قال تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾[8]، وقال تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[9]، وهذا المذكور في هذه الآية هو توحيد الربوبية، ومشركو العرب والأمم لم يجحدوه، بل أقروا به لله، فصار حجة عليهم فيما جحدوه من الإلهية، ولهذا قال بعد هذه الآية ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾[10]، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير﴾[11]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، بل القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا التوحيد مطابقة وتضمنًا والتزامًا.

---

[1] رواه الترمذي (٣٣٧١)، وهو ضعيف، في سنده عبد الله بن لهيعة، ويغني عنه الحديث الذي بعده.

[2] رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤)، وأحمد في «المسند» (٢٦٧/٤)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (٤٩١/١)، وغيرهم عن النعمان بن بشير، وصححه الشيخ ناصر في «صحيح أبي داود» (١٤٧٩).

[3] سورة الزمر: ١١ .

[4] سورة الزمر: ١٤ .

[5] سورة غافر: ١٤ .

[6] سورة البينة: ٥ .

[7] قاله في «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ»، (الفصل الخامس، في ذكر إبراهيم خليل الرحمٰن ﷺ)، (ص ٣٠٥ – ٣٠٦)، ونصه: فالأمة هو القدوة المعلم للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، الملازم لطاعته، والحنيف: المقبل على الله تعالى، المعرض عما سواه.

[8] سورة الفرقان: ٣ .

[9] سورة الأحقاف: ٤ .

[10] سورة الأحقاف: ٥ .

[11] سورة الحج: ٧١ .

وهو الدين الذي بُعث به المرسلون من أولهم إلى آخرهم، كما قال تعالى ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله﴾[1]، فدلت هذه الآية وما قبلها على أن الله تعالى إنما أراد من عباده أن يخلصوا له العبادة وهي أعمالهم، ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً في عباداتهم وإراداتهم التي لا يستحقها غيره كما تقدم، قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾[2]، وقال تعالى ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾[3]، وقال تعالى ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[4]، والمراد تطهيره عن الشرك في العبادة، ولهذا قال تعالى ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحِلَّت لكمُ الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومَن يشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[5].

وقد بين الله تعالى في مواضع من القرآن معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، ولم يَكِل عبادَهُ في بيان معناها إلى أحد سواه، وهو صراطه المستقيم، كما قال تعالى ﴿وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[6]، وقال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[7]، فعبر عن معنى «لا إله» بقوله ﴿إنني براء مما تعبدون﴾، وعبر عن معنى «إلا الله» بقوله ﴿إلا الذي فطرني﴾، فتبين أن معنى «لا إله إلا الله» هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى كما تقدم، وهذا واضح بيِّن لمن جعل الله له بصيرة ولم تتغير فِطرَتُه، ولا يخفى إلا على من عَمِيَت بصيرته بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم من أهل الأهواء والبدع والضلال، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[8].

وقال تعالى في بيان معناها ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾[9].

والمعنى: أي بعض من كان[10] من نبي أو غيره كالمسيح بن مريم والعُزَير ونحوهما.

---

[1] سورة الأحقاف: ٢١ .

[2] سورة النساء: ٣٦ .

[3] سورة الحج: ٣٤ .

[4] سورة الحج: ٢٦ .

[5] سورة الحج: ٣٠- ٣١ .

[6] سورة يٰس: ٦١ .

[7] سورة الزخرف: ٢٦ — ٢٨ .

[8] سورة النور: ٤٠ .

[9] سورة آل عمران: ٦٤ .

[10] في المطبوع: (بعض كان)، فلعله خطأ مطبعي، والصواب: (بعض من كان)، والمقصود: بعض من كان يُعبَدُ من نَبي أو غيره.

وفي قوله ﴿ألا نعبد﴾؛ معنى «لا إله».

وقوله «إلا الله»؛ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

وهذا التوحيد هو الذي دعا إليه النبي ﷺ أهل الكتاب وغيرهم من الإنس والجن، كما قال تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1].

وقد قال تعالى في معنى هذه الكلمة عن أصحاب الكهف ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾[2]، ففي قوله ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ معنى «لا إله».

وقوله ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

وقال تعالى ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ إلى قوله ﴿لن ندعو من دونه إلهاً﴾[3]، فتقرر بهذا أن الإلٰهية هي العبادة، وأن مَن صَرَفَ شيئاً لغير الله فقد جعله لله ندًّا، والقرآن كله في تقرير معنى «لا إله إلا الله» وما تقتضيه وما تستلزمه، وذِكر ثواب أهل التوحيد، وعقاب أهل الشرك.

ومع هذا البيان الذي ليس فوقه بيان؛ كثر الغلط في المتأخرين من هذه الأمة في معنى هذه الكلمة، وسببه تقليد المتكلمين الخائضين، فظن بعضهم أن معنى «لا إله إلا الله» إثبات وجود الله تعالى، ولهذا قَدَّروا الخبر المحذوف في «لا إله إلا الله» وقالوا (لا إله موجود إلا الله)، ووجوده تعالى قد أقَرَّ به المشركون الجاحدون لمعنى هذه الكلمة، وطائفة ظنوا أن معناها قدرته على الاختراع، وهذا معلوم بالفطرة وما يُشاهد من عظيم مخلوقات الله تعالى، كخَلْق السَّماوات والأرض وما فيهما من عجائب المخلوقات، وبه استدل الكليم موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون لما قال ﴿وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾[4]، وفي سورة بني إسرائيل ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾، ففرعون يعرف الله، ولكن جَحَدَهُ مكابرةً وعِناداً، وأما غير فرعون من أعداء الرسل من قومهم ومشركي العرب ونحوهم فأقروا بوجود الله وربوبيته كما قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾[5]، وقال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[6]، فلم يدخلهم ذلك في الإسلام لما جحدوا ما دلت عليه «لا إله إلا الله» من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده.

وفي الحديث الصحيح: من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار.[7]

---

[1] سورة يوسف: ١٠٨ .

[2] سورة الكهف: ١٦ .

[3] سورة الكهف: ١٤ .

[4] سورة الشعراء: ٢٣ – ٢٦ .

[5] سورة الزخرف: ٩ .

[6] سورة الزخرف: ٨٧ .

[7] تقدم تخريجه.

وتقدم قول قوم هود ﴿أجِئتنا لنعبد الله وحده﴾[1]، دليل على أنهم أقروا بوجوده وربوبيته وأنهم يعبدونه، لكنهم أبَوا أن يجردوا العبادة لله وحده دون آلهتهم التي كانوا يعبدونها معه، فالخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب وقدرته على الاختراع، فإن الفطر والعقول دلتهم على وجود الرب، وأنه رب كل شيء ومليكِه، وخالق كل شيء، والمتصرف في كل شيء، وإنما كانت الخصومة في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله، كما قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾[2]، وقال تعالى ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون * وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[3]، فالشرك في العبادة هو الذي عَمَّت به البلوى في الناس قديماً وحديثاً كما قال تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾[4].

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة تأخذ مأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، ولهذا أنكر كثير من أعداء الرسل في هذه الأزمنة وقبلها على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، وجحدوا ما جحدته الأمم المكذبة من التوحيد، واقتدوا بمن سلف من أعداء الرسل في مَسَبَّتهم من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله ونسبته إلى الخطأ والضلال، كما رأينا ذلك في كلام كثير منهم كابن كمال المشهور بالشرك والضلال، وقد كمُل في جهله وضلاله، وأتى في كلامه بأمحل المحال، وقد اشتُهر عنه بأخبار الثقات أنه يقول: (عبد القادر في قبره يسمع، ومع سمعه ينفع)، وما يُشعره أنه في قبره الآن رفات كحال الأموات، وهذا قول شنيع، وشرك فظيع، ألا ترى أن الحي الذي قد كملت قوته، وصَحَّت حاسة سمعه وبصره، لو ينادي من مسافةِ فرسخٍ أو فرسخينِ لم يمكنه سماع نداء من ناداه؟ فكيف يسمع ميت من مسافة شهر أو شهرين أو دون ذلك أو أكثر، وقد ذهبت قوته وفارقته روحه وبطلت حواسُّه؟!

هذا من أعظم ما تُحيله[5] العقول وتنكره الفِطر، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ ما يبطله، قال الله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكْفُرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾[6]، فأخبر الخبير جل وعلا أن سماعهم ممتنع، واستجابتهم لمن دعاهم ممتنعة، فهؤلاء المشركون لما استغرقوا في الشرك ونشئوا عليه أتوا في أقوالهم بالمستحيل، ولم يصدقوا الخبير في إخباره، وقال تعالى

---

[1] سورة الأعراف: ٧٠ .

[2] سورة هود: ٢٥- ٢٦ .

[3] سورة العنكبوت: ١٦ — ١٨ .

[4] سورة الروم: ٤٢ .

[5] أي تعرِف العقول استحالته.

[6] سورة فاطر: ١٣- ١٤ .

﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾[1]، فذِكره تعالى أنهم أموات دليل على بطلان دعوتهم، وكذلك عدم شعورهم يبين تعالى بهذا جهل المشرك وضلاله، فأحق عزَّ وجلَّ في كتابه الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون، لكن هؤلاء لما عظُم شركهم نزَّلوا الأموات في علم الغيب منزلة علام الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وشبَّهوهم برب العالمين، سبحانه وتعالى عما يشركون، قال الله تعالى ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾[2]، وليس عند هؤلاء الملاحدة ما يصدون به العامة عن أدلة الكتاب والسنة التي فيها النهي عن الشرك في العبادة إلا قولهم: (قال أحمد بن حجر الهيتمي، قال فلان، وقال فلان: يجوز التوسل بالصالحين)، ونحو ذلك من العبارات الفاسدة، فنقول: هذا وأمثاله ليسوا بحجة تنفع عند الله وتخلصكم من عذابه، بل الحجة ما في كتاب الله وسنة رسول ﷺ الثابتة عنه، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما أحسن ما قاله الإمام مالك رحمه الله: أوكلما[3] جاءنا رجل أجدل من رجل، نترك ما نزل به جبرائيل على محمد ﷺ لجدلِه؟![4]

إذا عُرف ذلك فالتوسل يُطلق على شيئين، فإن كان ابن حجر وأمثاله أرادوا سؤال الله بالرجل الصالح؛ فهذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه، ولو جاز لما ترك الصحابة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته إذا قحطوا، وثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج بالعباس بن عبد المطلب عام الرمادة بمحضر من السابقين الأولين يستسقون، فقال عمر: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقِنا.[5]

ثم قال: ارفع يديك يا عباس، فرفع يديه يسأل الله تعالى، ولم يسأله بجاه النبي ﷺ ولا بغيره، ولو كان هذا التوسل حقاً[6] كانوا إليه أسبق وعليه أحرص.

فإن كانوا أرادوا بالتوسل دعاء الميت والاستشفاع به فهذا هو شرك المشركين بعينه، والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جداً، فمن ذلك قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له

---

[1] سورة النحل: ٢٠ – ٢١ .

[2] سورة الأعراف: ١٩١ – ١٩٢ .

[3] في المطبوع: وكلما، ولعله تصحيف.

[4] قال الإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٧٢/٢) برقم (١٥٨٥): حدثنا إسحاق بن الطباع قال: رأيت مالك بن أنس يعيب الجدال والمراء في الدين، قال: أفكلما كان رجل أجدل من رجل؛ أردنا أن نرُد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ .
ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٩٠).

[5] رواه البخاري (١٠١٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٨) عن عمارة بن عبد الله بن أنس عن أنس رضي الله عنه.

[6] أي التوسل بالنبي ﷺ .

ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾[1]، فالذي له ملك السماوات والأرض هو الذي يأذن في الشفاعة، كما قال تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[2].

وقال تعالى ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾[3]، وهو لا يرضى إلا الإخلاص في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كما صرح به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة وغيره.

وأنكر تعالى على المشركين اتخاذ الشفعاء فقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[4]، فبين تعالى في هذه الآية أن هذا هو شرك المشركين، وأن الشفاعة ممتنعة في حقهم لما سألوها من غير وجهها، وأن هذا شركٌ نَزَّه نفسه عنه بقوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، فهل فوق هذا البيان بيان؟

وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[5]، فكفَّرهم بطلبهم من غيره أن يقربوهم إليه.

وقد تقدم بعض الأدلة على النهي عن دعوة غير الله والتغليظ في ذلك، وأنه في غاية الضلال، وأنه شرك بالله وكفر به، كما قال تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[6].

فمن أراد النجاة فعليه التمسك بالوحيين الذين هما حبل الله، ولْيَدَع عنه بُنَيَّات[7] الطريق، كما قال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[8].

وقد مثّل النبي ﷺ الصراط المستقيم، وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه هي السبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه.

والحديث في الصحيح وغيره عن عبد الله بن مسعود.[9]

---

[1] سورة الزمر: ٤٣- ٤٤ .

[2] سورة البقرة: ٢٥٥ .

[3] سورة النجم: ٢٦ .

[4] سورة يونس: ١٨ .

[5] سورة الزمر: ٣ .

[6] سورة المؤمنون: ١١٧ .

[7] بُنيات الطريق هي الطرق الصغار التي تتشعب من الجادة. انظر «تاج اللغة».

[8] سورة الأنعام: ١٥٣ .

[9] ليس الحديث في الصحيحين ولا في أحدهما، بل أخرجه أحمد (١/٤٣٥) وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه:

وكل من زاغ عن الهدى وعارض أدلة الكتاب والسنة بزُخْرُفِ أهل الأهواء فهو شيطان.

فصل

والعاقل إذا تأمل ما عارض به أولئك الدعاة إلى الشرك بالله في عبادته – كابن كمال وغيره – من دعا الناس إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له؛ فالعاقل يعلم أن معارضتهم قد اشتملت على أمور كثيرة:

الأمر الأول: أنهم أنكروا ما جاءت به الرسل من توحيد العبادة، وما نزلت فيه الكتب الإلٰهية من هذا التوحيد، فهُم في الحقيقة إنما عارضوا الرسل والكتب المنزلة عليهم من عند الله.

الأمر الثاني: تضمنت معارضتهم قبول الشرك الأكبر ونصرته، وهو الذي أرسل الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه، وقد خالفوا جميع الرسل والكتب، فهم في الحقيقة قد أنكروا على من دان بهذا التوحيد ودعا إليه من الأولين والآخِرين.

الأمر الثالث: وقد تضمنت معارضتهم أيضاً مسَبَّة من دعا إلى التوحيد وأنكر الشرك، أسوة أعداء الرسل، كقوم نوح إذ قالوا ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾[1]، وقال قوم هود ﴿إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾[2]، وقول من قال من مشركي العرب للنبي ﷺ ﴿إنْ هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾[3]، فالظلم والزور في كلام هؤلاء المنكِرين للتوحيد أمر ظاهر يعرفه كل عاقل منصف، فقد تناولت مَسَبَّتهم كل من دعا إلى الإسلام وعمل به من الأولين والآخرين، كما أن من كذب رسولاً بما جاء به من الحق فقد كذب المرسلين، كما ذكره الله تعالى في قِصص الأنبياء، فمن أنكر ما جاءت به الرسل فهو عدوٌّ لهم.

الأمر الرابع: وتضمنت معارضتهم أيضًا الكذب والإفك والبهتان وزخرف القول في ذلك، أسوة أعداء الرسل، الذين قال الله فيهم ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾[4]، فهذه حال كل داعية إلى الشرك بالله في عبادته من الأولين والآخرين، فإذا تأمل اللبيب ما زخرفوه وأتوا به من الفشر والأكاذيب وجدها كما قال تعالى ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب﴾[5].

خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل – قال يزيد (وهو أحد الرواة): متفرقة – على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾. والحديث حسن كما قاله محققو «المسند» وفقهم الله.

[1] سورة الأعراف: ٦٠ .

[2] سورة الأعراف: ٦٦ .

[3] سورة الفرقان: ٤ .

[4] سورة الأنعام: ١١٢ .

[5] سورة النور: ٣٩ .

والأمر الخامس: معارضة أولئك للآيات المحكمات البينات التي هي في غاية البيان والبرهان وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتنديد، فعارضوا بقول أناس من المتأخرين لا يجوز الاعتماد عليهم في أصول الدين، فيقولون: (قال ابن حجر الهيتمي، قال البيضاوي، قال فلان)، ولا ريب أن الزمخشري وأمثاله من المعطلة أعلم من هؤلاء وأدرى في فنون العلم، لكنهم أخطئوا كخطأِ هؤلاء، وفي تفسير الزمخشري من دسائس الاعتزال ما لا يخفى، وليسوا بأعلم منه.

وعلى كل حال فليسوا بحجة يعارض بها نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها من الدين الحنيف، الذي هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ودين الرسل الذي قال الله تعالى فيه ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾[1]، فأولئك المعارضون للحق ممن ذكرنا وأمثالهم فيهم شَبه بمن قال الله فيهم ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾[2]، وهذا على تقدير أنهم أصابوا في النقل عنهم، ولعلهم أخطئوا وكذبوا عليهم، والله أعلم.

والأدلة بالإجماع ثلاثة: الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وأما القياس الصحيح فعند بعض العلماء حجة إذا لم يخالف كتاباً ولا سُنة، فإن خالف نصًّا أو ظاهراً لم يكن حجة، وهذا هو الذي أجمع عليه العلماء سلفاً وخلفاً، وتفصيل ذلك في كتب أصول الفقه.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح[3]: (وكفر بما يُعبد من دون الله)؛ فهذا شرط عظيم لا يصح قول «لا إله إلا الله» إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال «لا إله إلا الله» معصوم الدم والمال، لأن هذا هو معنى «لا إله إلا الله»، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه مِن ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يُعبَد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلمًا معصوم الدم والمال، وهذا معنى قول الله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[4].

وقد قُيِّدت «لا إله إلا الله» في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال لا بُد من الإتيان بجميعها قولاً واعتقادًا وعملاً[5]، فمن ذلك حديث عتبان الذي في الصحيح: (فإن الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله)[6]، وفي

---

[1] سورة الشورى: ١٣ .

[2] سورة الزخرف: ٢٣ – ٢٤ .

[3] هذا شروع في إجابة السؤال الذي هو عنوان هذه المقالة.

[4] سورة البقرة: ٢٥٦ .

[5] من هنا شرع الشيخ في شرح شروط «لا إله إلا الله» بإيجاز.

[6] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله» فيَدخل النار، أو تَطعمه.

حديث آخر: (صدقًا من قلبه)[1]، (خالصًا من قلبِهِ)[2] ، (مستيقنًا بها قلبه)[3]، (غير شاكٍّ)[4]، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود إذا اجتمعت له، مع العلم بمعناها ومضمونها، كما قال تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[5]، وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾[6]، فمعناها يقبل الزيادة، لقوة العلم وصلاح العمل.[7]

فلا بُدَّ من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة علماً يُنافي الجهل، بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها.

ولا بُد من اليقين المنافي للشك فيما دلت عليه من التوحيد.

ولا بُد من الإخلاص المنافي للشرك، فإن كثيرًا من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة ويُنكر معناها ويُعادي من اعتقده وعمل به.

---

[1] رواه البخاري (١٢٨) وأحمد في «مسنده» (٥/٢٣٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله، وذِكر بعض الأحاديث المتعلقة بالباب.

[2] رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٢/٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

[3] رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخَشِينا أن يُقتطع دوننا، وفَزِعنا وقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار، فدُرتُ به هل أجد له بابًا فلم أجد، فإذا ربيعٌ يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجةٍ، والربيع الجدول، فاحتفزت (أي تضامتُ لِيسَعَني المدخل) كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال: أبو هريرة؟!

فقلت: نعم يا رسول الله. قال: ما شأنك؟ قلت: كنتَ بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تُقتَطَع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستقينًا بها قلبه فبشره بالجنة. قال: نعم. قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتَّكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فخلِّهم.

قوله: (من بئرٍ خارجةٍ) أي خارجةٍ عن الحائط. انظر شرح النووي للحديث.

[4] رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: فنفدت أزواد القوم، قال: حتى همَّ بنحرِ بعض حمائِلِهم (أي رِكابهم وهي الإبل)، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعتَ ما بقى من أزواد القوم فدعوتَ الله عليها.

قال: ففعل، قال: فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه، وذو التمر بتمره، قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوِدَتهم، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة.

[5] سورة الزخرف: ٨٦ .

[6] سورة محمد: ١٩ .

[7] أي أن إدراك معنى «لا إله إلا الله» يقبل الزيادة، لأن العلم بها يقبل الزيادة.

ولا بُدَّ من الصدق المنافي للكذب، بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[1].

ولا بُدَّ من القَبُول المنافي للرد، بخلاف من يقولها ولا يعمل بها.

ولا بُدَّ من المحبة لما دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك، والفرح بذلك المنافي لخلاف هذين الأمرين.

ولا بُدَّ من الانقياد بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمنًا والتزامًا، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينًا سواه.

وأنت أيها الرجل ترى كثيرًا ممن يَدَّعي العلم والفهم قد عكس مدلول «لا إله إلا الله» كابن كمال ونحوه من الطواغيت، فيثبتون ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشرك ديناً، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويشتمون أهله، وقد قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾[2].

وهذا النوع من الناس الذين قد فُتِنُوا وفَتَنُوا يستجهلون أهل الإسلام ويستهزئون بهم، أسوةَ من سلف من أعداء الرسل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[3].[4]

---

[1] سورة الفتح: ١١ .

[2] سورة الزمر: ٢-٣ .

[3] سورة الزمر: ٤٥ .

[4] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٢٦ – ٢٤٥).

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله تعالى في بيان معنى «لا إله إلا الله»، وشروطها، ومعنى العبادة، وأنواع التوحيد، وأقسام العلم النافع، قال رحمه الله:

أما الكلام في معنى «لا إله إلا الله» فأقول وبالله التوفيق:

أما هذه الكلمة العظيمة فهي التي شَهِد الله بها لنفسه، وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من خَلقِه، كما قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[2]، فـ «لا إله إلا الله» هي كلمة الإسلام، لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل به، وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلَّت عليه، والسرور بذلك.

السادس: القبول المنافي للرد، فقد يقولها من يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً، كما قد وقع من كثير.

السابع: الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة، إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

إذا عرفت ذلك؛ فقولك «لا إله إلا الله»؛ فـ «لا» نافية للجنس، و«الإله» هو المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات والغائبين والأصنام، فكل معبود مألوه بالعبادة.

وخبر «لا» المرفوع محذوف، تقديره: حقٌّ.

وقوله «إلا الله» استثناء من الخبر المرفوع.

فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية بـ «لا» في هذه الكلمة، قال الله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾[3]، فإلهية ما سواه باطل، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل.

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] سورة آل عمران: ١٨ .

[3] سورة الحج: ٦٢ .

فتبين أن الإلٰهية هي العبادة، لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئًا لغيره تعالى فهو باطل، والقرآن كله يدل على أن الإلٰهية هي العبادة، كما قال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾[1]، فذكر البراءة من كل معبُود سوى الله ولم يستثن إلا عبادة من فطره، ثم قال ﴿وجعلها كلمة باقية في عَقِبه﴾[2]، أي «لا إله إلا الله»، فعبَّر عن الإلٰهية بالعبادة في النفي والإثبات.

وقال تعالى ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدًا﴾[3]، فقوله ﴿قل إنما أدعو ربي﴾ هو معنى «إلاَّ الله» في كلمة الإخلاص، وقوله ﴿ولا أشرك به أحدًا﴾ هو المنفي في كلمة الإخلاص بـ «لا إله»، فتبين أن «لا إله إلا الله» دلت على البراءة من الشرك في العبادة في حق كل ما سوى الله.

وقال الله تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين﴾[4]، والدِّين هو العبادة.

وقال تعالى ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب﴾[5]، ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلٰهكم إله واحد﴾[6]، أي الذي لا تصلح الإلٰهية إلا له وحده، فانتفت الإلٰهية وبطلت في حق كل ما سوى الله، والقرآن يبين بعضُه بعضًا ويفسره، والرسل إنما يفتتحون دعوتهم بمعنى «لا إله إلا الله» ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[7]، ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[8].

فتبين أن الإلٰهية هي العبادة، ولهذا قال قوم هود لما قال ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾[9]، فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبَوْا أن يخلصوا العبادة لله وحده، فلم ينفوا ما نفته «لا إله إلا الله»، فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب لعدم قبولهم ما دعاهم إليه من إخلاص العبادة، كما قال تعالى ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾، وهم الرسل جميعهم ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾[10]، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل.

فقوله ﴿ألا تعبدوا﴾ هو معنى ﴿لا إله﴾، وقوله ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فهذا هو تحقيق معناها بحمد الله.

---

[1] سورة الزخرف: ٢٦- ٢٧ .

[2] سورة الزخرف: ٢٨ .

[3] سورة الجن: ٢٠ .

[4] سورة الزمر: ١١ .

[5] سورة الرعد: ٣٦ .

[6] سورة الكهف: ١١٠ .

[7] سورة المؤمنون: ٣٢ .

[8] سورة الأعراف: (٥٩-٦٥)، (٧٣-٨٥)، وهود: (٦١-٨٤).

[9] سورة الأعراف: ٧٠ .

[10] سورة الأحقاف: ٢١ .

وإنذار الرسل جميعهم أممهم عن الشرك في العبادة، وأن يخلصوها لله وحده لا شريك له، فما ذكرناه في هذه الآيات في معناها كافٍ وافٍ شافٍ، ولله الحمد والمنة.

وأما تعريف العبادة فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»:

وعبـــادة الرحمـــٰن غايـــةُ حُبـــه مـــع ذل عابـــدِه همـــا قطبـــانِ

وعليهمـــا فلَـــكُ العبـــادة دائـــر مـــا دار حـــتى قامـــت القُطبـــانِ

ومـــدَارُه بالأمـــر أمـــر رَسُـــوله لا بالهـــوى والـــنَّفس والشَّـــيطانِ

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصُولها إذا كان على السُّنة، فذكر قُطبَيها وهما غاية المحبة لله في غاية الذل له، والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل، لأن المشرك لا بُدَّ أن يُحب معبودَهُ ولا بُد أن يَذِل له، فَفَسَد الأصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل لله وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المراد بقوله (وعليهما فلك العبادة دائر)، والدائر هي الأعمال، ولا تصلح إلا بمتابعة السُّنة.

وهذا معنى قول الفُضَيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[1]، قال: أخلَصُه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبَل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صَوَاباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السُّنة.[2]

---

[1] سورة الملك: ٢ .

[2] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨)، قال: حدثنا أبي، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا: ثنا إسماعيل ابن يزيد، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول:

الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط، والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويُعَيِّر ويُفشي.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعف عنك، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله.

سمعته يقول في قوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبَل، حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك.

انتهى مختصرًا.

وأما أقسام التوحيد فهي ثلاثة: توحيد الإلٰهية، وهي العبادة كما تقدم، فهي تعلَّق بأعمال العبد وأقواله الباطنة والظاهرة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.[1]
فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك بالله، فهذا هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتَّبَت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه.
ويسمى هذا التوحيد إذا كان لله وحده «توحيد القصد والطلب والإرادة»، وهو الذي جحده المشركون من الأمم، وقد بعثَ الله نبيَّنا محمدًا ﷺ بالأمر به والنهي عما يُنَافيه من الشِّرك، فأبى المشركون إلا التمسك بالشرك الذي عهدوه من أسلافهم، فجاهدهم ﷺ على هذا الشرك وعلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلٰهًا واحدًا﴾ إلى قوله ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾[2].

النوع الثاني: «توحيد الربوبية»، وهو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو المدبر لأمور خلقه جميعهم، كما قال تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار﴾ إلى قوله ﴿ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[3]، وقال ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ إلى قوله ﴿فأنى تُسحَرون﴾[4]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع قد أقَرَّ به المشركون كما دَلَّت عليه الآيات.

والنوع الثالث: «توحيد الأسماء والصفات»، وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال التي تَعرَّف بها سبحانه إلى عباده، وينفي ما لا يليق بجلاله وعظمته.
وهذا النفي أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية».
فأهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً يثبتون لله هذا التوحيد على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا النوع والذي قبله هو «توحيد العلم والاعتقاد».

---

[1] «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩).
ومما قاله رحمه الله في هذا الباب (١٥/٢٨٢-٢٨٣): والإيمان اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والكفر اسم جامع لكل ما يبغضه الله وينهى عنه، وإن كان لا يكفُر العبد إذا كان معه أصل الإيمان وبعض فروع الكفر من المعاصي، كما لا يكون مؤمنًا إذا كان معه أصل الكفر وبعض فروع الإيمان.

[2] سورة ص: ٤ – ٦ .

[3] سورة يونس: ٣١ .

[4] سورة المؤمنون: ٨٤ – ٨٩ . قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿فأنى تُسحرون﴾: أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.
قلت: ووجه المقارنة بين المسحور وبين من اتخذ مع الله إلٰها آخر أن المسحور قد ذهب عقله بتأثير السِّحر، فكذلك من اتخذ مع الله إلٰها آخر مع اعترافه بأن الله تعالى هو الرازق المالك المدبر، فإنه قد شابه بفعله المسحور الذي ذهب عقله.

وأما تعريف التوحيد[1] فقد ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية» بقوله:

فالصدق والإخلاص رُكنَا ذلك التـ ـوحيد كالركنين للبنيانِ
وحقيقة الإخلاص توحيد المرـ ـاد فلا يُزاحمه مرادٌ ثَانِ
والصدق توحيد الإرادة وهو بَذـ ـل الجهد لا كسِلاً ولا مُتوانِ

ثم ذكر توحيد المتابعة[2] فقال:

والسنة المثلى لسالكها فَتَو حيد الطريق الأعظم السلطانِ
فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ أعني طريق الحق والإيمانِ

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم رحمه الله فقال: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.[3]

وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده فهو يتضمن ما سبق ذكره[4]، وهو ثلاثة أقسام ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»، قال:

والعلم أقسامٌ ثلاثة ما لها من رابع (خُلْوًا عن الرَّوغَانِ)[5]
علمٌ بأوصافِ الإلٰه وفِعلِه وكذلك الأسماءُ للرَّحمٰنِ
والأمرُ والنَّهي الذي هو دِينُه وجَزاؤه يومَ المعَاد الثَّانِ

وبهذا تم الجواب عما أوردناه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.[6]

---

[1] أي توحيد الألوهية.

[2] أي متابعة النبي ﷺ .

[3] لم أجده بهذا النص، وأقرب ما وجدته قوله رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٢/٢٤٥): النية أصلها حب الله ورسوله وإرادة وجهه.

[4] أي من أقسام التوحيد الثلاثة.

[5] هكذا وهو خطأ، والصواب: (والحق ذو تِبيان).

[6] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٤٥ – ٢٥٢).

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن[1] رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا.

اعلم أن أعظم شهادة وأفرضها على الخلق – قولاً وعملاً واعتقاداً – ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلٰهية دون جميع خلقه أزَلاً[2] وأبداً، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[3]، فكرر الشهادة به في هذه الآية، وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جل وعلا، وأخبر عباده بهذه الشهادة، ودعاهم إلى أن يشهدوا له بها، قال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾[4]، وقال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾[5]، وقال ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾[6]، وأخبر أنه بَعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم فقال ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[7].

فبيَّن في هذه الآية وأمثالها كقوله ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[8] أن الإلٰهية هي العبادة، فإن «الإلٰه» هو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وتذللاً وخضوعاً وتوكلاً ورغبة إليه ورهبة وخوفاً ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.
وقال تعالى ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾[9]، وبين تعالى ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والإثبات بقوله عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[10]، والكلمة هي «لا إله إلا الله»، فعبر عنها الخليل بمعناها، فنفى ما نفته هذه الكلمة من الشرك في العبادة بالبراءة من كل ما يعبد من دون الله، واستثنى الذي فطره وهو الله سبحانه، الذي لا

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] الأزَل بالتحريك هو القِدم، ومنه قولهم: (هذا شيء أزلي) أي قديم، وذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل. انظر «لسان العرب».

[3] سورة آل عمران: ١٨ .

[4] سورة النساء: ٨٧ .

[5] سورة طٰه: ٨ .

[6] سورة القصص: ٧٠ .

[7] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[8] سورة المؤمنون: ٣٢ .

[9] سورة الأنعام: ١٠٢ .

[10] سورة الزخرف: ٢٦ – ٢٨ .

يصلح من العبادة شيء لغيره، كما قال تعالى ﴿ألر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * ألا تعبدوا إلا الله﴾[1]، فقوله ﴿ألا تعبدوا﴾ فيه معنى «لا إله»، وقوله ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نَفَى الإلٰهية عما سوى الله نفيًا عامًّا بـ «لا» النافية للجنس، وأثبت الإلٰهية له وحده دون كل ما سواه.

والآيات في معنى هذه الكلمة كثيرة في القرآن، قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[2]، فقوله ﴿ألا تعبدوا﴾ نفى استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله ﴿إلا إياه﴾.

وقال تعالى ﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه﴾[3].

وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى هذه الكلمة وما تضمنته من النفي والإثبات، فقال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾[4]، فتضمنت هذه الآية معنى «لا إله إلا الله» من نفي الإلٰهية عما سوى الله وتفرده بالعبادة دون كل ما سواه، ومعنى ﴿تعالوا﴾ أي هلموا وأقبلوا إلى أن نكون نحن وأنتم في توحيد الله مجتمعين على ذلك، ثم قرر تعالى بقوله ﴿ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ الآية[5].

وهذه الكلمة هي التي دعا رسول الله ﷺ قريشًا والعرب أن يقولوها ويعملوا بها، وقال لهم: (قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا، كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكاً في الجنة)[6]، فقالوا ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عُجاب﴾[7]، و﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾[8]، وذلك أنهم نشئوا في الفترة[9] بعد عبادة الأصنام، حين استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي وفرَّقها في القبائل، وهي الأصنام التي عبَدَها قوم نوح فعبدوها[10]، وكَثُرت عبادة الأوثان والأصنام، فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنَماً على صورة من كانوا يعبدونه، وعبدوا اللات والعزى ومناة وذا الخلصة وغيرها مما لا يحصى كثرة، ولذلك أنكَرُوا معنى «لا إله إلا الله» لما دعاهم النبي ﷺ إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فأبوا أن ينفوا ما نفته من عبادة الأوثان والأصنام وأن يُخلصُوا العبادة لله وحده.

---

[1] سورة هود: ١-٢ .

[2] سورة الإسراء: ٢٣ .

[3] سورة يوسف: ٤٠ .

[4] سورة آل عمران: ٦٤ .

[5] سورة آل عمران: ٦٤ .

[6] تقدم تخريجه.

[7] سورة ص: ٥ .

[8] سورة ص: ٧ .

[9] أي الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

[10] أي قريش.

ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة نهوا أبا طالب عن أن يقولها عند موته لما قال له رسول الله ﷺ: أي عمْ، قل «لا إله إلا الله»، كلمة أحاجُّ[1] لك بها عند الله.

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغبُ عن ملة عبد المطلب؟[2]

علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله وأنكرها، لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والإثبات، قال الله تعالى ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾[3].

وأما هذه الأمة فلما كثُر الشرك فيهم كما كثُر في أولئك، وبُنيت المساجد على القبور وعُبدت، وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت؛ صاروا يقولون «لا إله إلا الله» والشرك قد قام في قلوبهم واتخذوه ديناً، فأثبتوا ما نَفَته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حق الله على عباده، فيقول قائلهم «لا إله إلا الله» وقد اعتقد عكس ما دلت عليه، وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت، هذا وهم فيما يقرَؤونه ويُقرِئونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطَوْنَه من العلوم؛ لا يجهلون مثل هذا.

وكثير منهم له في علم المعقول[4] اليد الطولى، فسبحان الله؟ كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم إن وُفِّق لفَهمِه؟!

فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالإنكار على من دعا إليه وعداوته.

فبهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ)[5]، فلا غُربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الأكثرون في هذه القُرون المتأخرة.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله من أهل السنة والجماعة في معنى «لا إله إلا الله»، وبيان ما نفته وما أثبتته؛ ما يفيد العلم اليقيني بمعناها الذي أوجب الله تعالى معرفته، وما تضمنته من النفي والإثبات.

قال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»:

---

[1] وفي البخاري برقم (١٣٦٠) بلفظ: أشهد.

[2] رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

[3] سورة الصافات: ٣٥ – ٣٦ .

[4] لعله يقصد به علم المنطق.

[5] رواه مسلم (١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرِز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.

ومعنى (يأرِز) أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي».

وقد تقدم ذكر أحاديث في هذا الباب في تخريج سابق.

قوله: (شهادة أن «لا إله إلا الله»)؛ يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن «لا إله إلا الله»، كما قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾[1].

قال: واسم «الله» مرتفع بعد ﴿إلا﴾، من حيث إنه الواجب له الإلٰهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلٰهية وأثبت الإيجاب لله تعالى؛ كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

قال ابن القيم رحمه الله في «البدائع»:

فدلالتها – أي «لا إله إلا الله» – على إثبات الإلٰهية أعظم من دلالة قولنا (الله إله)، ولا يسترِيب أحَدٌ في هذا البتَّة.[2]

انتهى بمعناه.

وقال رحمه الله: الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكرامًا وتعظيمًا وذُلاًّ وخضوعًا وخوفًا ورجَاءً وتوكلاً.[3]

وقال ابن رجب: والإله هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفًا ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلٰهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.[4]

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: «لا إله إلا الله»، أي لا معبود إلا هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبَد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.[5]

وقال رحمه الله تعالى[1]: (فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حُبِّه، وليس ذلك إلا لله وحده.

---

[1] سورة محمد: ١٩ .

[2] انظر «بدائع الفوائد» (٣/٩٢٥-٩٢٦)، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

[3] «إغاثة اللهفان» (ص ٧٢).

[4] «كلمة الإخلاص» (ص ٢٥)، الناشر: دار الشريف - الرياض.

ومما قاله رحمه الله في هذا الباب (ص ٢٥):

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله له غير الله.

تنبيه: أدخل المؤلف رحمه الله – تبعًا لمن نقل عنه وهو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن مؤلف «فتح المجيد» - كلام ابن القيم مع كلام ابن رجب في فقرة واحدة على أنها من كلام ابن القيم، وقد ضبطت النص وعزوته لكل واحد منهما، والله أعلم.

[5] «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٤٩)، وقد ضبطت النص منه.

وقال أيضًا (١٣/٢٠٢): والإله هو المألوه، أي المستحق لأن يؤله أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل.

ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فهذه المسألة قطب رحى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يُصحِّحها العبد فالفساد لازمٌ له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله).

وقال البقاعي: («لا إله إلا الله» أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبودًا بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العِلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون عِلماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صِرف).

وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الإسلام والبِقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك؛ فمما يدل على غربة الإسلام؛ ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة، كما في الصحيح من حديث ثوبان: وحتى تعبُدَ فئامٌ من أمتي الأوثان.[٢]

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم تسعين عاماً.

قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟

قال: مما مضى.[٣]

ومما يُبين غُربة الإسلام وشدتها ما جرى من الملوك والقضاة والرؤساء على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من العداوة والحبس وشدة الإنكار عليه لما دعاهم إلى ما تضمنته «لا إله إلا الله» ومعناها الذي تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء، وقد ردوا عليه بشبهات واهية وضلالات في الضلال متناهية، رد عليهم رحمه الله تعالى في «منهاج السنة»، و«اقتضاء الصراط المستقيم» وكتاب «الاستغاثة في الرد على ابن البكري»، ورد على أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

وذكر رحمه الله أن هؤلاء كلهم وإن كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته، ولا الشرك الذي نَفَته، هذا معنى كلامه، ولتلميذه العلامة ابن القيم في بيان أنواع التوحيد والرد على أهل البدع؛ المصنفات الكثيرة المفيدة، فمن أحسنها «إغاثة اللهفان» وكتاب «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة»، وللحافظ ابن عبد الهادي «الصارم المنكي في الرد على السبكي».

---

[١] القائل هو ابن القيم وليس شيخه ابن تيمية كما وهم الشيخ، قال ذلك في كتابه «طريق الهجرتين»، فصل في محبة العوام (ص ٦٩٥)، تحقيق محمد أجمل الصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[٢] لم أجده في الصحيح، وإنما رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وأحمد (٢٧٨/٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح أبي داود»، وكذا صححه محققو «المسند».

[٣] «سنن أبي داود» (٤٢٥٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٦).

ولهم أصحاب كثير أخذوا عنهم، فلما طال الأمد بعدَهم صارت كتبهم في أيدي أناس جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعوا إلى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة، وكثر الشرك في القرى والأمصار، وصاروا لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرة من تأويل صفات الرب والإلحاد فيها، فصاروا كذلك، حتى نُسي العلم وعم الشرك والبدع إلى منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركاً أو بدعة مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح الله صدر شيخنا[1]، فضلاً من الله ونعمة عظيمة مَنَّ بها تعالى في آخر هذا الزمان، فعَرَف من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، بتدبره الآيات المحكمات، وصحيحي البخاري ومسلم والسنن والمسانيد والآثار، ومعرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم، وما عليه سلف الأمة وأئمتها والأئمة من أهل الحديث والتفسير والفقهاء، كالأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم، فتبين له التوحيد وما يُنَافيه، والسنة وما يناقضها.

فدعا الناس من أهل قريته وما قرُب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت، وعبادة الأشجار والأحجار، والذبح للجن ونحو ذلك، وكل هذا قد وقع في قرى نجد وغيرها كالبوادي، فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه، وطرده أهل قريته عنها وهي حريملا، وصار في العُيَينة يدعو إلى دين الإسلام، وينهى عن الشرك وعبادة الأوثان، وقبِل ذلك طائفة منهم ومن أهل الدرعية، ثم بعد ذلك ضاق نطاق أمير العُيَينة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير والجم الغفير، وقد نصب له العداوة أهل القرى والأمصار والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه.

وصار في الدرعية عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه وبعض الأعيان من جماعته، فصار لهم قبول لهذه الدعوة، فصبروا على عداوة الناس قريبهم وبعيدهم، وكلٌّ قَصَدَهم بالحرب، فثبتهم الله على قلتهم وكثرة مَن خَالَفَهُم، وقُتل من قتل من أعيانهم، فصبروا وصارت الحرب بينهم سجالاً، والله يحميهم ويقوي قلوبهم، وما جرى بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ.

فأظهر الله هذا الدِّين في نجد والبادية، حتى لم يكن فيهم من يُنازِع ويجادل، لأن الله أبطل كل شبهة بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين، وانتشرت دعوته في الأمصار، وقبلها القليل منهم ممن له التفات إلى ما ينفعه، بخلاف من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدى الله وهم الأكثرون، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة، فيا سعادة مَن هُدِي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

وقد وجدت للعلامة ابن القيم رحمه الله كلامًا في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» يتعين نقله هنا لعظيم فائدته وشدة الحاجة إليه، قال رحمه الله تعالى:

(هذا فصل عظيم النفع جليل القدر، إنما ينتفع به من عرف نوعي التوحيد: القولي العلمي الخبري، والتوحيد القصدي الإرادي العملي، كما دل على الأول سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وعلى الثاني سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، وكذلك دَلَّ على

---

[1] يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

الأول قوله ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ الآية[1]، وعلى الثاني قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية[2].

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر وسنة المغرب، ويقرأ بهما في ركعتي الطواف، ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر، لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد، بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والإستعانة والاستغاثة، والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده.

ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هٰذين التوحيدين، وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علماً وعملاً، ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق إلى الله، وأقربهم إليه وسيلة أولو العزم، وأقربهم الخليلان، وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على الله، لكمال توحيده وعبوديته لله.

فهذان الأصلان هما قطب رحى القرآن وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور، والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة، ونَوَّع سبحانه الطرق في إثباتهما أكمل التنويع، بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء، فذاك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر.

فإن سُلِّط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل والشرك ، ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين، لا ينفك أحدهما عن صاحبه، وإمام المعطلين المشتركين فرعون، فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما إلى يوم القيامة).[3]

وقال أيضًا لما ذكر سبب عبادة الأصنام التي صورها قوم نوح على صور الصالحين:

(وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بالمقبور والإقسام به على الله، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسم به عليه، أو يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثنًا، تُعَلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده.

---

[1] سورة البقرة: ١٣٦ .

[2] سورة آل عمران: ٦٤ .

[3] انتهى نقله عن ابن القيم، وقد ضبطت كلامه من النسخة المحققة (٢/٤٠١-٤٠٣)، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ومَنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مُضاد لما بَعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وألا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أنَّ من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم[1]، كما قال تعالى ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[2]، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾[3]).[4]

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(وقال تعالى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾[5].

فتأمل هذا المثل الذي أُمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يستمعه فقد عَصَى أمره، كيف تضمَّن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وأسْجَلَ على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضًا وعاونه بأبلغ المعاونة؛ لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم؟

فأي إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب؟

فهل قَدَر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها؟

فأقام سبحانه حُجَّة التوحيد، وبيَّن إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها، لم يستكرِهَها غموض، ولم يشِنها تطويل، ولم يعبها تقصير، ولم تُزرِ بها زيادة ولا نقص، بل بلغت في الحسن والفصاحة والإيجاز ما لا يتوهم مُتَوهم ولا يظن

---

[1] أي غضب أولئك القبوريون لمَّا نهاهم الموحِّدون عن عبادة المقبورين، وإشراكهم إياهم مع الله في العبادة.

[2] سورة الزمر: ٤٥ .

[3] سورة الأنفال: ٣٤ .

[4] باختصار وتصرف من «إغاثة اللهفان»، ص ٣٩٠ – ٣٩٨، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[5] سورة الحج: ٧٣-٧٤ .

ظان أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر، العظيم الشريف القدر، البالغ في النفع القدر، ما هو أجل من الألفاظ).[1]

انتهى، والله أعلم، وصلى الله على محمد.[2]

[1] ما بين القوسين نقله الشيخ رحمه الله عن ابن القيم في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/٤٦٦-٤٦٧)، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

[2] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢١١ – ٢٢٦).

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن[1] رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلٰهية عما سوى الله تعالى، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله بالعبادة بجميع أنواعها، كما قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله﴾[2].

ومعنى ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي: نستوي نحن وأنتم في قَصْر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام ﴿إنني بَرَاءٌ مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[3]، فهذا هو حقيقة معنى «لا إله إلا الله»، وهو البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، وإخلاص العبادة له وحده، وهذا هو معناها الذي دلت عليه هذه الآيات وما في معناها، فمن تحقق ذلك وعلِمه فقد حصل له العلم[4] بها، المنافي لما عليه أكثر الناس – حتى من ينتسب إلى العلم – من الجهل بمعناها.

فإذا عَرفت ذلك، فلا بُدَّ له من القبول[5] لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيراً ممن يقولها ويعرفُ معناها لا يقبلها، كحال مشركي قريش والعرب وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه من البراءة لكن لم يقبلوه، فصارت دماؤهم وأموالهم حلالاً لأهل التوحيد، فإنهم كما قال تعالى ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾[6]، عرفوا أن «لا إله إلا الله» توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله.

ولا بُد أيضًا من الإخلاص[7] المنافي للشرك، كما قال تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ إلى قوله ﴿قل الله أعبد مخلصًا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾[8].

وفي حديث عتبان: من قال «لا إله إلا الله»، يبتغي بذلك وجه الله ...[9]

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] سورة آل عمران: ٦٤ .

[3] سورة الزخرف: ٢٦ – ٢٨ .

[4] هذا هو الشرط الأول من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[5] هذا هو الشرط الثاني من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[6] سورة الزخرف: ٣٥ – ٣٦ .

[7] هذا هو الشرط الثالث من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[8] سورة الزمر: ١١ – ١٥ .

[9] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

ولا بد أيضًا من المحبة[1] المنافية لضدها، فلا يحصل لقائلها معرفةٌ وقبولٌ إلا بمحبةِ ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، فمن أحبَّ الله أحب دينه، ومن لا فلا، كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله﴾[2]، فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة، فأحبوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأحبوا من أحبه الله، وأبغضوا من أبغضه الله، وفي الحديث: (وهل الدين إلا الحب والبغض)[3]، ولهذا وجب أن يكون الرسول ﷺ أحبَّ إلى العبد

---

[1] هذا هو الشرط الرابع من شروط تحقيق «لا إله إلا الله»..

[2] سورة البقرة: ١٦٥ .

[3] رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٩١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله عز وجل ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي في «تلخيص المستدرك» بقوله: عبد الأعلى، قال الدارقطني: ليس بثقة.

وضعفه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٨٢٣) لنفس العلة، ونقل عن ابن حبان قوله في عبد الأعلى: لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وكذا ضعَّف عَبدَ الأعلى يحيى بن معين، انظر «المجروحين» لابن حبان.

ويغني عنه حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.

أخرجه أبو داود (٤٦٨١) وصححه الألباني رحمه الله.

وأخرج أحمد في «مسنده» (٥/١٤٦) وأبو داود في «سننه» (٤٥٩٩) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟

قال قائل: الصلاة والزكاة.

وقال قائل: الجهاد.

قال: إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب في الله والبغض في الله.

قال محققو «المسند»: حسن لغيره.

وأخرج أحمد (٤/٢٨٦) وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: ... إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله.

قال محققو «المسند»: حديث حسن بشواهده.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٣٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤١٢) عن مجاهد قال: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبُغض فيه.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسَّط الإيمان، وأحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٤٩٦) في تفسير العروة الوثقى عن سالم بن أبي الجعد قال: العروة الوثقى؛ الحب في الله والبغض في الله.

من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، فإن شهادة «لا إله إلا الله» تستلزم شهادة «أن محمدًا رسول الله»، وتقتضي متابعته، كما قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1].

ولا بُدَّ أيضاً من الانقياد[2] لحقوق «لا إله إلا الله»، بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو ينافي الشرك، فإن كثيراً ممن يدَّعي الدِّين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك، وحقيقة الإسلام أن يُسلِمُ العبدُ بقلبِهِ وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه﴾[3]، وقال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[4].

وإحسان العمل لا بُدَّ فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شرعه الله ورسوله.

ولا بُدَّ أيضًا لقائل هذه الكلمة من اليقين[5] بمعناها، المنافي للشك والرَّيب، كما في الحديث الصحيح: (مستيقنًا بها قلبه)[6]، (غير شاكٍّ فيهما)[7]، ومن لم يكن كذلك فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث سؤال الميت في قبره.

ولا بُدَّ أيضًا من الصدق[8] المنافي للكذب، كما قال تعالى عن المنافقين ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[9]، فالصادق يعرف معنى هذه الكلمة ويقبله ويعمل بما تقتضيه وما يلزم قائلها من واجبات الدين، فيُصدِّق قلبُهُ لسانَهُ.

فلا تصح هذه الكلمة إلا إذا اجتمعت هذه الشروط، وبالله التوفيق.[10]

---

[1] سورة آل عمران: ٣١ .

[2] هذا هو الشرط الخامس من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[3] سورة البقرة: ١١٢ .

[4] سورة لقمان: ٢٢ .

[5] هذا هو الشرط السادس من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[6] رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

[7] رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

[8] هذا هو الشرط السابع من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

[9] سورة الفتح: ١١ .

[10] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٥٢ -٢٥٥)، و «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، المجلد الثاني، القسم الأول، ص ٥ — ٧، وبينهما فروق يسيرة، وقد أثبت ما هو مناسب للسياق، والله أعلم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله أن معنى «لا إله إلا الله» نفي وإثبات، «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات، تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع.

المنفي: الآلهة والطواغيت والأنداد والأرباب.

فـ «الإله»: ما قصَدْتَه بشيء من جَلب خير أو دفع ضُر فأنت متخذه إلهًا.

والطواغيت: من عُبِدَ وهو راضٍ، أو تَرشَّح للعبادة مثل شمسان أو تاج أو أبو حديدة.

والأنداد: ما جَذَبَكَ عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو نِدٌّ، لقوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾[2].

والأرباب: مَن أفتاك بمخالفة الحق وأطَعتَه مصدِّقًا، لقوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[3].

وتُثبِت[4] أربعة أنواع[5]:

القصد: كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة لقوله عزَّ وجلَّ ﴿والذين آمنوا أشد حبًّا لله﴾[6]، والخوف والرجاء لقوله تعالى ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عبادة وهو الغفور الرحيم﴾[7].

فمن عرف هذا قطع العلائق من غير الله، ولا يكبُر عليه جَهامة الباطل[8]، كما أخبر الله عن إبراهيم – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – بتكسيره الأصنام وتبرِّيه من قومه، لقوله تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] سورة البقرة: ١٦٥ .

[3] سورة التوبة: ٣١ .

[4] أي كلمة «لا إله إلا الله».

[5] الذي سيذكره الشيخ خمسة أنواع تنفيها كلمة «لا إله إلا الله» وليس أربعة، فلعله سَهوٌ منه، وهي توحيد القَصْد، والمحبة والتعظيم والخوف والرجاء.

[6] سورة البقرة: ١٦٥ .

[7] سورة يونس: ١٠٧ .

[8] الجهامة هي السحابة لا ماء فيها، وجهامة الباطل: أي سحابة الباطل.

إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفَرنا بكم وبدَا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[1].[2]

[1] سورة الممتحنة: ٣ .

[2] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/١٢٢ – ١٢٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فاعلم رحمك الله أن الله تعالى خلَقَ الخلق ليعبُدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2]، والعبادة هي التوحيد، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[3].

والتوحيد ثلاثة أصول؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات والأسماء والصفات.

الأصل الأول: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به المشركون في زمن رسول الله ﷺ، ولا أدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله، والدليل عليه قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[4]، وقوله ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تُسحرون﴾[5]، والآيات على هذا كثيرة جداً، أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكَر.

والأصل الثاني وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم.

فدليل الدعاء قوله تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم[6]﴾ الآية، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا[7]﴾، وقوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون[1]﴾، ﴿وما أرسلنا من

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] سورة الذاريات: ٥٦ .

[3] سورة النحل: ٣٦ .

[4] سورة يونس: ٣١ .

[5] سورة المؤمنون: ٨٤ – ٨٩ .

[6] سورة غافر: ٦٠ .

[7] سورة الجن: ١٨ .

قبلك من رسُولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ إلى قوله ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال[3]﴾، وقوله ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾[٤] الآية، وقوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[٦].

الأصل الثالث وهو توحيد الذات والأسماء والصفات، كما قال تعالى ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾، وقوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[7]﴾، وقال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[8]﴾.

واعلم أن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً[9]﴾، وقوله تعالى ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار[10]﴾.

وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾.[11]

---

[1] سورة الأعراف: ١٥٨ .

[٢] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[3] سورة الرعد: ١٤ .

[٤] سورة الحج: ٦٢ .

[٥] سورة الحشر: ٧ .

[٦] سورة آل عمران: ٣١ .

[7] سورة الأعراف: ١٨٠ .

[8] سورة الشورى: ١١ .

[9] سورة النساء: ١١٦ .

[10] سورة المائدة: ٧٢ .

[11] سورة العنكبوت: ٦٥ – ٦٦ .

النوع الثاني: شرك النية، وهى الإرادة والقصد، والدليل عليه قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾.[1]

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون[2]﴾، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو طاعة العلماء والعُبَّاد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾.[3]

والنوع الثاني[٤] شرك أصغر وهو الرياء، والدليل عليه قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً[5]﴾.

والنوع الثالث شرك خفي[٦]، والدليل عليه قوله ﷺ: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصَّفَاة السوداء في ظلمة الليل.[٧]

---

[1] سورة هود: ١٥ – ١٦ .

[2] سورة التوبة: ٣١ .

[3] سورة البقرة: ١٦٥ – ١٦٧ .

[٤] أي من أنواع الشرك.

[5] سورة الكهف: ١١٠ .

[٦] الشرك الخفي شرك أصغر في الأصل، وسُمي خفيًّا لأنه دقيق لا يتفطن له عامة الناس، وهو شرك في الألفاظ دون الأعمال وقصد القلوب، اللهم إلا إذا اعتقد قائله المساواة بين الله وبين خلقه فهنا يكون أكبرَ.

[٧] أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء.
وهو ضعيف جدًّا كما بينه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣٧٥٥).
ويغني عنه ما رواه أبو يعلى (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر – أو قال: حدثني أبو بكر – عن النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.
فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهًا آخر.
فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.
ثم قال: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم.

وكفارته قوله ﷺ: اللهم إن أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم.[1]

والكفر كفران؛ كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول كفر التكذيب، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾.[2]

النوع الثاني كفر الاستكبار والإباء مع التصديق، والدليل عليه قوله ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من للكافرين﴾.[3]

النوع الثالث كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلباً * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾.[4]

النوع الرابع كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون[1]﴾.

والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتَخرجَن مما قلت أو لنأتينَّ عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أَخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

كما ورد هذا الوصف للشرك موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢/١) عند قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾، قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

[1] تقدم تخريجه في التعليق السابق، وبكل حال فإنه ينبغي مع ذكر الكفارة التوبة والاستغفار إلى الله من الشرك دقيقه وجليله، لأن الشرك من المعاصي، وقد شَرع الله الاستغفار من عموم المعاصي، والله أعلم.

[2] سورة العنكبوت: ٦٨ .

[3] سورة البقرة: ٣٤ .

[4] سورة الكهف: ٣٥ – ٣٧ .

النوع الخامس كفر النفاق، الدليل عليه قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون[2]﴾.

وكفر أصغر[٣] لا يخرج من الملة، وهو كفر النعمة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله[4]﴾، وقوله ﴿إن الإنسان لظلوم كفار[5]﴾.

وأما النفاق فهو نوعان؛ نفاق اعتقادي ونفاق عملي.

فأما **الاعتقادي** فهو ستةُ أنواعٍ: تكذيبُ الرسولِ، أو تكذيبُ بعضِ ما جاء به الرسولُ، أو بغضُ الرسولِ، أو بغضُ ما جاء به الرسولُ، أو المَسرَّةُ[٦] بانخفاضِ دينِ الرسولِ، أو الكراهيةُ لانتصارِ دينِ الرسولِ.
فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من الشِّقاق والنفاق.

وأما النفاق **العملي** فهو خمسة أنواع: إذا حدث كذب، وإذا خاصَمَ فَجَر، وإذا عاهد غدر، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلَفَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا.[٧]

---

[1] سورة الأحقاف: ٣ .

[2] سورة المنافقون: ٣ .

[٣] وهو النوع الثاني من أنواع الكفر.

[4] سورة النحل: ١١٢ .

[5] سورة إبراهيم: ٣٤ .

[٦] أي: الإسرار بذلك في النفس.

[٧] انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/٦٦ – ٧٢).

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[1] رحمه الله تعالى:

فصل

ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة؛ قد يُراد بها مُسمَّاها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يُراد بها مطلق الحقيقة، والأول هو الأصل عند الأصوليين، والثاني لا يُحمل الكلام عليه إلا بقرينة لفظية أو معنوية، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة، قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[2] الآية، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3].

وكذلك اسم المؤمن والبرَ والتَّقي؛ يراد بها عند الإطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الأمر والنهي، ألا ترى أن الزاني والسارق والشارب ونحوهم يدخلون في عموم قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾[4] الآية، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ الآية[5]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾[6]،

---

[1] هو الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ولد سنة ١٢٢٥ هـ في بلدة العلم والعلماء؛ الدرعية، درس على يد عدد من المشايخ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن محمود الجزائري، مفتي الديار الجزائرية في وقته، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام»، وأيضًا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى، كما يقع بعضها في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام»، والترجمة من إعداد الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

[2] سورة إبراهيم: ٤ .

[3] سورة النحل: ٤٣ – ٤٤ .

[4] سورة المائدة: ٦ .

[5] سورة الأحزاب: ٦٩ .

[6] سورة المائدة: ١٠٦ .

ولا يدخلون في مثل قوله ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[1]، وقوله ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾[2] الآية.

وهذا هو الذي أوجَبَ للسلف ترك تسميَة الفاسق باسم الإيمان والبَرّ، وفي الحديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نَهبة يرفع الناس إليه أبصَارَهُم فيها وهو مؤمن)[3]، وقوله: (لا يؤمن من لا يأمن جارُه بوائقه)[4]، لكن نفيُ الإيمان هنا لا يَدُل على كفرِهِ[5]، بل يُطلق عليه اسم الإيمان ولا يكون كمن كفر بالله ورسله، وهذا هو الذي فهمه السلف وقرروه في باب الرد على الخوارج والمرجئة ونحوهم من أهل الأهواء، فافهم هذا، فإنه مَضَلَّةُ أفهام، ومَزَلَّةُ أقدام.

وأما إلحاق الوعيدِ المرتب على بعض الذنوب والكبائر فقد يمنع منه مانِعٌ في حق المعين[6]، كحب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، ورُجحان الحسنات، ومغفرة الله ورحمته، وشفاعة المؤمنين، والمصائب المكفِّرة، في الدُّور الثلاثة[7]، ولذلك لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار، وإن أطلقوا الوعيد كما أطلقه القرآن والسنة فهم يُفرّقون بين العام المطلق والخاص المقيد، وكان عبد الله بن حمار يشرب الخمر، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ فَلَعَنَهُ رجل وقال: (ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ)، فقال النبي ﷺ: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله)[8]، مع أنه لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه.

---

[1] سورة الحجرات: ١٥ .

[2] سورة الحديد: ١٩ .

[3] رواه البخاري (٦٧٧٢)، ومسلم (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] رواه البخاري (٦٠١٦) عن أبي شريح رضي الله عنه، ولفظه أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.
قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.

[5] يقرر الشيخ هنا أن ارتكاب المعاصي من الكبائر والصَّغائر لا يقتضي انتفاء الإيمان، ليكون صاحبه كافرًا خارجًا من الملة الإسلامية، كلا، بل المقصود هو نفي كمال الإيمان، فيكون صاحبه ناقص الإيمان، مع بقائه على وصف الإسلام والإيمان، وإنما جاء إطلاق نفي الإيمان عن صاحبه زَجرًا، ومما يبين ذلك أن الله خاطب بعض العصاة بلفظ الإيمان، فقال في حق الطائفتين المتقاتلتين ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾، مع أن مقاتلة المسلم لأخيه من الكبائر، وقال للذي شرب الخمر –كما سيأتي– أنه يحب الله ورسوله، وهذا يَدُل على إيمانه، وغير ذلك من الأمثلة التي سيذكرها الشيخ.

[6] أي الشخص المعين وليس في عموم الناس.

[7] أي الدنيا والبرزخ والآخرة، مما يقع فيها من الأمور التي تَحُول دون إلحاق الوعيد به.

[8] روى البخاري (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَده في الشراب، فأُتِي به يومًا فأَمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به.
فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله.

وتأمَّل قصة حاطب بن أبي بلتعة وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكِنْ حدث منه أنه كتب بسِرِّ رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيرِهِ لجهادهم، ليتَّخذ بذلك يدًا عندهم تحمي أهله وماله بمكة، فنزل الوحي بخبره، وكان قد أَعطى الكتاب ظعينة[1] جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًّا والزبير في طلب الظعينة، وأخبرهما أنهما يجدانها في روضة «خاخ»، فكان ذلك، وتهدَّداها حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها[2]، فأُتي به رسول الله ﷺ، فدعا حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: ما هذا؟

فقال: يا رسول الله، إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ أحمي بها أهلي ومالي.

فقال ﷺ: صدَقكم، خَلُّوا سَبيله.

واستأذن عمر في قتله فقال: دعني أضرب عُنق هذا المنافق.

فقال: وما يدريك أن الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم.[3]

وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحِنة فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآيات.

فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، وَوَصْفِهِ به، وتناوَلَهُ النَّهي بعمومه، وله خصوصُ السبب الدالِّ على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يُشعر أن فِعلَ حاطبٍ نوعُ موالاةٍ، وأنه أبلَغَ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل.

لكن قوله (صدَقكم، خلوا سبيله) ظاهر في أنه لا يكفر بذلك إذا كان مؤمناً بالله ورسوله، غير شاكٍّ ولا مُرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قال: خلوا سبيله.

ولا يقال: (قوله ﷺ لعمر: ما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لِحاق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾[4]، وقوله ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾[5]، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا.[6]

---

[1] قال ابن الأثير في «النهاية»: وأصل الظعينة الراحلة التي يُرحل ويُظعن عليها أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت، وقيل: الظعينةُ المرأةُ في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: ظعينة.

[2] جمع ضفيرة، قال الخطابي: ضَفَرَت المرأة شعرها إذا أدخلت بعضه في بعض.

[3] انظر «صحيح البخاري» (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه.

[4] سورة المائدة: ٥ .

[5] سورة الأنعام: ٨٨ .

[6] هنا انتهى الشيخ من بيان المقصود من الآيات والأحاديث الواردة في نفي الإيمان عن مُرتَكِبي الكبائر، وسيشرع الآن في بيان معنى الموالاة.

وأما قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[1]، وقوله ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادُّون من حاد الله ورسوله﴾[2]، وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾[3]، فقد فسرته السنة وقيَّدته وخصته بالموالاة المطلقة العامة.

وأصل الموالاة هو الحب والنُّصرة والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظُّه وقسطُهُ من الوعيد والذم، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفي غيره، وإنما أشكل الأمر وخَفِيَت المعاني والتبست الأحكام على خلوفٍ من العجم والمُولَّدين[4]، الذين لا دراية لهم بهذا الشَّأن[5]، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن، ولهذا قال الحسن رضي الله عنه: (من العُجمة[6] أُتُوا)[7].

وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد لما ناظره في مسألة خلود أهل الكبائر في النار، واحتج ابن عُبَيد أن هذا وعدٌ، والله لا يخلف وعده، يشير إلى ما في القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب بالنار والخلود، فقال له ابن العلاء: (من العُجمة أُتيت، هذا وعيدٌ لا وعدٌ)، وأنشد قول الشاعر:

وإني وإن أوعدتـــــــه أو وعدتـــــــه لَـــمُخْلِفُ إيعـــادي ومُـــنجِزُ موعِـــدي[8]

---

[1] سورة المائدة: ٥١ .

[2] سورة المجادلة: ٢٢ .

[3] سورة المائدة: ٥٧ .

[4] المُولَّدين جمع مُولَّد، وهو الرجل العربي غير المحض، ويُطلَقُ أيضًا على من وُلِدَ عند العرب ونشأ بينهم، والقصور عندهم يكمن في عدم استيعابهم للغة العربية، ففهموها فهمًا ناقصًا، ثم انعكس ذلك على فهمهم للقرآن والسنة، فإذا تولوا منصب توجيه وتعليم نقلوا ذلك الفهم الناقص والخاطئ للناس، وقديمًا قيل: فاقِدُ الشيء لا يُعطيه، والله المستعان.

[5] ابتدأ الشيخ هنا في تقرير أن من أعظم أسباب الضلال في فهم بعض المسائل الشرعية العقدية هي العُجمة، وانظر معناها في التعليق اللاحق.

[6] العُجمة: هي تأثر اللسان العربي باللغة الأعجمية، يقال فلان فيه عُجْمَة، وهي سبب رئيس لعدم فهم المصطلحات الشرعية فهمًا سليمًا، بخلاف من وُلِد بين العرب، وخالطهم مخالطة كاملة، وتكلم بلسانهم منذ نعومة أظفاره، وتعلم اللغة، فإن فهمه للكلام العربي سيكون سليمًا، ولسانه سيكون فصيحًا، سواء كان الشخص عربيًّا أو أعجميًّا.

[7] قال البخاري في «خلق أفعال العباد»، باب ما نَقَش النبي ﷺ في خاتمه من كتاب الله تعالى، وما جاءت به الحاجة:
وقال الحسن البصري: إنما أهلكتهم العجمة.
وقال المرْوَزِي في مقدمة كتاب «السنة»: قال الحسن: إنما أُتِيَ القوم من قِبَلِ العجمة.

[8] قال ابن بطة في «الإبانة» (٣٠٢/٢)، كتاب القدر، «ذكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر»:
حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الوراق قال: حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا عبد الملك الأصمعي قال:
كنا عند أبي عمرو بن العلاء قال: فجاء عمرو بن عبيد فقال: يا أبا عمرو، يُخلف الله وعده؟
قال: لا.

وقال بعض الأئمة فيما نقل البخاري أو غيره: إن من سعادة الأعجمي والعربي إذا أسلَمَا أن يُوفقَا لصاحب سُنة، وإن من شقاوتهما أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة.

ونضرب لك مثلاً هو أن رجلين تنازعَا في آيات من كتاب الله، أحدهما خارجي[1] والآخر مرجئ[2].

قال الخارجي: إن قوله ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[3] دليل على حبوط أعمال العصاة والفجار وبطلانها، إذ لا قائل أنهم من عباد الله المتقين.

قال المرجئ: هي في الشرك، فكل من اتَّقى الشرك يُقبل منه عمله، لقوله تعالى ﴿من جاء الحسنة فله عشر أمثالها﴾[4].

قال الخارجي: قوله تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا﴾[5] يرُدُّ ما ذهبتَ إليه.

قال المرجئ: المعصية هنا الشرك بالله واتخاذ الأنداد معه لقوله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[6].

قال الخارجي: قوله ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾[7] دليل على أن الفاسق من أهل النار الخالدين فيها.

قال: أرأيت من وعده الله على عمل عقابًا، أليس هو منجزه له؟

فقال له أبو عمرو: يا أبا عثمان، من العجمة أوتيت، لا يُعدُّ عارًا ولا خُلْفًا أن تَعِدَ شرًّا ثم لا تفي به، بل تَعُدُّه فضلاً وكرمًا، إنما العار أن تَعِدَ خيرًا ثم لا تَفِي به.

قال: ومعروف ذلك في كلام العرب؟

قال: نعم.

قال: أين هو؟

قال أبو عمرو: قال الشاعر:

لا يرهب ابن العَم ما عشتُ صَولتي ... ولا أختَنِي من صولةِ المتهددِ

وإني وإن أوعدته أو وَعدتُه ... لمخلف إيعادي ومنجز مَوعِدي

انتهى.

قلت: ومعنى (أختني) أي أنكسِرُ وأنهزمُ.

وقوله (من العجمة أوتيت)، يعني بسبب تأثرك باللسان الأعجمي دُخِل عليك فلم تفهم المراد من الكلام.

[1] الخارجي نسبة إلى فرقة الخوارج، والتي من وجوه انحرافها تكفير مرتكب الكبيرة، فشارب الخمر – مثلاً – عندهم كافر.

[2] المرجئ نسبة لفرقة المرجئة، سميت بذلك لأنها ترجئ العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: لا يَضُر مع الإيمان ذنب، وهذه الفرقة –كما ترى – على الجانب الآخر من طريقة الخوارج، وكلاهما ضال.

[3] سورة المائدة: ٢٧ .

[4] سورة الأنعام: ١٦٠ .

[5] سورة الجن: ٢٣ .

[6] سورة النساء: ٤٨ .

[7] سورة السجدة: ١٨ .

قال له المرجئ: قوله في آخر الآية ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾[1] دليل على أن المراد من كذَّب الله ورسوله، والفاسق من أهل القبلة مؤمن كامل الإيمان.

ومن وقف على هذه المناظرة من جُهَّال الطلبة والأعاجم ظن أنها الغاية المقصودة، وعضَّ عليها بالنواجذ، مع أن كِلا القولين لا يُرتضى، ولا يَحكُمُ بإصابته أهل العلم والهدى، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كلِّه، لأن الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نُزِّل إليهم واجب، وأما أهل البدع والأهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم.[2]

وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل الله سنطيعكم في بعض الأمر﴾[3] على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين والملوك المشركين[4]، ولم تنظروا لأول الآية وهي قوله ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى﴾[5]، ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة، ولا المراد من الأمر المعروف المذكور في هذه الآية الكريمة، وفي قصة صُلحِ الحديبية، وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في ردِّ مفهومكم ودحضِ أباطيلكم.[6]

فصل

وهنا أصول؛ **أحدها**: أن السنة والأحاديث النبوية هي المبيِّنة للأحكام القرآنية وما يُراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ما أنزل الله، كمعرفة المؤمن والكافر، والمشرك والمُوحِّد، والفاجر والبَر، والظالم والتقي، وما يراد بالموالاة والتولي، ونحو ذلك من الحدود، كما أنها المبيِّنة لما يراد من الأمر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها وواجباتها، وكذلك الزكاة فإنه لم يظهر المراد من الآيات الموجِبة ومعرفة النصاب والأجناس التي تجب فيها من الأنعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشتراط الحول في بعضها ومقدار ما يجب في النصاب وصِفتِه إلا ببيان السنة وتفسيرها.

---

[1] سورة السجدة: ٢٠ .

[2] انتهى الشيخ هنا من بيان ما يترتب على العُجْمَة من سوء فهم لمراد الله ومراد رسوله ﷺ .

[3] سورة محمد: ٢٦ .

[4] عاد الشيخ هنا لمسألة الموالاة، ليبين أن التعامل بين المسلمين والكفار – بإجراء صلح مثلاً أو هدنة ونحوها – لا يستلزم موالاة ولا تولي، وأنه من الأمور الجائزة.

قلت: وقد توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، ودعاه يهودي إلى خبز شعير وإهالة سَنِخَة فأجابه عليه الصلاة والسلام، وهذا لم يقتَضِ موالاة من جانبه عليه الصلاة والسلام، لأن مقصده الدعوة، لا المؤانسة والركون التي هي من مقتضيات الموالاة.

[5] سورة محمد: ٢٥ .

[6] وقد وقع في وماننا هذا – القرن الخامس عشر الهجري – من بعض المتحمسين شيء من هذا، فلما ظنوا – جهلاً – أن الهدنة مع الكفار أو الصلح معهم ليس بجائز في الشريعة مطلقًا؛ اتهموا من فعل ذلك من الحكام بموالاة الكفار، بل ألصقوا هذا الاتهام ببعض العلماء الكبار لما أفتوا بجواز ذلك تحقيقًا للمصلحة العامة، والله المستعان.

وكذلك الصوم والحج جاءت السنة ببيانهما وحدودهما وشروطهما ومفسداتهما ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة، وكذلك أبواب الربا وجنسه ونوعه وما يجري فيه وما لا يجري، والفرق بينه وبين البيع الشرعي، وكل هذا البيان أُخِذ عن رسول الله ﷺ برواية الثقات العدول عن مثلهم إلى أن تنتهي السنة إلى رسول الله ﷺ، فمن أهمل هذا وأضاعه فقد سدَّ على نفسه باب العلم والإيمان، ومعرفة معاني التنزيل والقرآن.

الأصل الثاني: أن الإيمان أصل له شعب متعددة[1]، كل شعبةٍ منها تسمى إيمانًا، فأعلاها شهادة أن «لا إله إلاَّ الله»، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فمنها ما يزول الإيمان بزواله إجماعًا كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزواله إجماعًا كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة، منها ما يُلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يُلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلفُ الأمة وأئمتُها.

وكذلك الكفر أيضًا ذو أصل وشعب، فكما أن شُعَبَ الإيمانِ إيمانٌ؛ فشُعَبُ الكفرِ كفرٌ، والمعاصي كلها من شُعَب الكفر كما أن الطاعات كلها من شُعَب الإيمان، ولا يُسوَّى بينهما في الأسماء والأحكام.

وفرقٌ بين من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله أو استهان بالمصحف، وبين من سرق أو زنى أو شرب أو انتهب، أو صدَر منه نوعُ موالاةٍ كما جرى لحاطب، فمن سوَّى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوَّى بين شعب الكفر في ذلك؛ فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

الأصل الثالث: أن الإيمان مركَّبٌ من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو اعتقاده، وقول اللسان وهو التكلُّمُ بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو قصده واختياره ومحبته ورضاه وتصديقه، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة، فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله وصِدقه؛ زال الإيمان بالكلية، وإذا زال شيء من الأعمال كالصلاة والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبولِه فهذا محل خلاف؛ هل يزول الإيمان بالكلية إذا ترك أحد الأركان الإسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يزول؟ وهل يكفر تاركه أو لا يكفر؟ وهل يُفرَّقُ بين الصلاة وغيرها أو لا يُفرَّق؟

---

[1] عاد الشيخ هنا لمسألة الإيمان، ليبين أن الإيمان له شُعَب متعددة، ثم عقب ذلك ببيان أن الإيمان مركب من قول وعمل، ثم بين أن الكفر له شعب متعددة، بعضها مخرج من الملة، وبعضها ليس بمخرج، فمن فهم هذه الضوابط فقد وُفِّق لفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وأما من جعله شيئًا واحدًا إما مؤمن خالص أو كافر خالص فقد ضلَّ فَهمُه وزَلَّت قدمه، والله الهادي.

فأهل السنة مُجمعون على أنه لا بُد من عمل القلب الذي هو محبته ورضاه وانقياده، والمرجئة تقول: (يكفى التصديق فقط، ويكون به مؤمنًا)، والخلاف في أعمال الجوارح هل يكفر أو لا يكفر واقع بين أهل السنة، والمعروفُ عند السلف تكفير من ترك أحد المباني الإسلامية، كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

والقول الثاني: أنه لا يَكفُر إلا من جحدها.

والثالث: الفرق بين الصلاة وغيرها.

وهذه الأقوال معروفة.

وكذلك المعاصي والذنوب، التي هي فعل المحظورات، فرَّقوا فيها بين ما يُصادم أصل الإسلام وينافيه وما دون ذلك، وبين ما سماه الشارع كفرًا وما لم يُسمِّهِ، هذا ما عليه أهل الأثر المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ، وأدلة هذا مبسوطة في أماكنها.

الأصل الرابع: أن الكفر نوعان: كُفر عمل، وكُفر جحود وعناد، وهو[1] أن يكفر بما عُلِمَ أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله، جحودًا وعنادًا، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلُها توحيده وعبادته وحده لا شريك له، وهذا مضاد للإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل فمنه ما يُضَاد الإيمان كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي ﷺ وسبه.

وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهذا كفرُ عمل لا كفرُ اعتقاد، وكذلك قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدى كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]، وقوله: (من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد)[3]، فهذا من الكفر العملي، وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبِّه، وإن كان الكل يُطلَق عليه الكفر.

وقد سمَّى الله سبحانه من عمِل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنًا بما عمل به وكافرًا بما ترك العمل به، قال تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ إلى قوله ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾[4] الآية، فأخبر تعالى أنهم أقرُّوا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه، وهذا يدل على تصديقِهم به، وأخبر أنهم عَصَوا أمره، وقتَلَ فريقٌ منهم فريقًا آخرين، وأخرجوهم من ديارهم، وهذا كفرٌ بما أُخِذَ عليهم، ثم أخبر أنهم يَفْدُون من أُسِرَ من ذلك الفريق، وهذا إيمانٌ منهم بما أُخِذَ عليهم في الكتاب، وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه.

---

[1] أي كفر الجحود والعناد.

[2] رواه البخاري (١٧٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٦٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[3] رواه الترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٤٠٨/٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] سورة البقرة: ٨٤ – ٨٥ .

فالإيمان العملي يضادُّه الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضادُّه الكفر الاعتقادي، وفي الحديث الصحيح: (سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر)[1]، ففرَّق بين سِبابه وقتاله، وجعَلَ أحدَهما فسوقًا لا يَكفُر به، والآخر كفراً، ومعلومٌ أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية، كما لم يُخرج الزاني والسارق والشارب من الملة، وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل قول الصحابة، الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تُتَلقَّى هذه المسائل إلا عنهم، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين؛ فريق أَخرجوا من الملة بالكبائر[2]، وقَضوا على أصحابهم بالخلود في النار، وفريق جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان[3]، فأولئك غلوا وهؤلاء جفوا، وهَدَى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط، الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فهاهنا كفرٌ دون كفرٍ، ونفاقٌ دون نفاقٍ، وشركٌ دون شركٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، فعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[4]، قال: (ليس هو الكفر الذي تذهبون إليه).

رواه عنه سفيان وعبد الرزاق.[5]

وفي رواية أخرى: كفر لا يَنقل عن الملة.[6]

وعن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.[7]

---

[1] رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[2] أي أخرَجوا أصحاب الكبائر من المسلمين.

[3] وهم المرجئة.

[4] سورة المائدة: ٤٤ .

[5] قال الحاكم في «مستدركه» (٣١٣/٢): أخبرنا أحمد بن سليمان الموصلي، ثنا علي بن حرب، ثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن ملة، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، كفر دون كفر.

وقال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٣) (تحقيق كمال بن السيد سالم، الناشر: مكتبة العلم – مصر): حدثنا محمد بن يحيى، ثنا عبد الرزاق، عن سفيان، عن رجل، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: كفر لا ينقل عن الملة.

[6] قال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٤): حدثنا إسحاق، أنا وكيع عن سفيان عن سعيد المكي عن طاوس قال: ليس بكفر ينقل عن الملة.

[7] قال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٥): حدثنا إسحاق، أنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

ثم قال المروزي: قالوا: وقد صدق عطاء، قد يسمى الكافر ظالماً، ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً، فظُلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل، قال الله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، وقال ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

يراجع بحث الألباني في «الصحيحة» (٢٥٥٢، ٢٧٠٤).

وهذا بيّنٌ في القرآن لمن تأمله، فإن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا، وسمَّى الجاحد لِما أنزل الله على رسوله كافرًا، وليس الكُفران على حد سواء، وسمى الكافر ظالماً في قوله ﴿والكافرون هم الظالمون﴾[1]، وسمى من يتعد حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخُلع ظالمًا وقال ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نَفسَه﴾[2]، وقال يونس عليه السلام ﴿إني كنت من الظالمين﴾[3]، وقال آدم عليه السلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾[4]، وقال موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾[5]، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

وسمى الكافر فاسقًا في قوله ﴿وما يُضل به إلا الفاسقين﴾[6]، وقوله ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾[7]، وسمى العاصي فاسقًا في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[8]، وقال في الذين يرمون المحصنات ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾[9]، وقال ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾[10]، وليس الفسوق كالفسوق.

وكذلك الشرك شركان؛ شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر، كشرك الرياء.

وقال تعالى في الشرك الأكبر ﴿إنه من يُشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[11]، وقال تعالى ﴿ومن يُشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير﴾[12] الآية.

وقال تعالى في شرك الرياء ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾[13].

وفي الحديث: (أخوَفُ ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)[14]، وفي الحديث: (مَن حَلف بغير الله فقد أشرك)[1].

---

[1] سورة البقرة: ٢٥٤ .

[2] سورة الطلاق: ١ .

[3] سورة الأنبياء: ٨٧ .

[4] سورة الأعراف: ٢٣ .

[5] سورة القصص: ١٦ .

[6] سورة البقرة: ٢٦ .

[7] سورة البقرة: ٩٩ .

[8] سورة الحجرات: ٦ .

[9] سورة النور: ٤ .

[10] سورة البقرة: ١٩٧ .

[11] سورة المائدة: ٧٢ .

[12] سورة الحج: ٣١ .

[13] سورة الكهف: ١١٠ .

[14] رواه أحمد (٤٢٨/٥) عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.
قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

ومعلوم أن حَلِفَهُ بغير الله لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حُكم الكفار[٢]، ومن هذا قوله ﷺ:

الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل.[٣]

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم إلى ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلى ما لا ينقل عن الملة.

قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح.

[١] رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٦٩/٢) وابن حبان (٤٣٥٨) وأبو عوانة (٥٩٦٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

وهذا اللفظ هو المعتمد كما قال الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله، وللعلم فقد روى الترمذي هذا الحديث وشكَّ الراوي فيه فقال: فقد كفر – أو أشرك – .

[٢] فائدة: لما كان الحلف بغير الله له ناشئ من تعظيم المحلوف به؛ فالحلف بغير الله له حالتان: الأولى: أن يُعظِّم الحالف بغير الله المحلوف به عند حلفه به – عند حلفه به – تعظيما كتعظيم الله فهذا شرك أكبر.

الثانية: أن يعظِّمه تعظيما دون تعظيم الله، فهذا شرك أصغر، يجب تركه والتوبة منه، لأنه ذريعة للنوع الأول.

وهذا النوع يعتبر من أنواع الشرك الخفي الذي هو شرك أصغر في الأصل، وسُمي خَفيًّا لأنه دقيق لا يتفطن له عامة الناس.

[٣] روى أبو يعلى في «مسنده» (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر – أو قال: حدثني أبو بكر – عن النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهًا آخر.

فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل.

ثم قال: ألا أدُلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم.

والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتَخرجَن مما قلت أو لنأتينَّ عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أَخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرِك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾: قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

وكذلك النفاق نفاقان؛ نفاق اعتقادي ونفاق عملي، والنفاق الاعتقادي مذكور في القرآن في غير موضع، أوجب لهم تعالى به الدَّرك الأسفل من النار، والنفاق العملي جاء في قوله ﷺ: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدَعَها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر.[1]

وكقوله ﷺ: آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.[2]

قال بعض الأفاضل: وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الإسلام، ولكن إذا استَحْكَمَ وكَمُلَ فقد ينسلخ صاحبه من الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى عن هذه الخِلال، فإذا كمُلت للعبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها؛ فهذا لا يكون إلا مُنَافقًا خالصًا. انتهى.

الأصل الخامس أنه لا يلزم من قيام شعبة من شُعَب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافرًا وإن كان ما قام به كفرٌ، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم أو من أجزاء الطب أو من أجزاء الفقه أن يسمى عالمًا أو طبيبًا أو فقيهًا.

وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر، كما في الحديث: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)[3]، وحديث: (من حلف بغير الله فقد كفر)[4]، ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق.

فمن عرف هذا عرف فِقه السلف، وعمق علومهم، وقِلة تكلفهم، قال ابن مسعود:

من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.[5]

وقد كاد الشيطان بني آدم بمكيدتين عظيمتين، لا يبالي بأيِّهما ظَفَرَ، أحدهما: الغلو ومجاوزة الحد والإفراط، والثاني هو الإعراض والترك والتفريط.

قال ابن القيم لما ذكر شيئاً من مكائد الشيطان:

قال بعض السلف: (ما أمر الله سبحانه بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما إلى تفريطٍ وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيِّـها ظَفَرَ).

---

[1] رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

[2] رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] رواه مسلم (٦٧)، وأحمد (٤٩٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] تقدم تخريجه، وبيان أن لفظ: (من حلف بغير الله فقد أشرك) هو اللفظ المعتمد.

[5] «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وقد اقتُطِع[1] أكثر الناس إلا أقل القليل في هٰذين الواديين؛ وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدًّا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وعدَّ رحمه الله كثيراً من هذا النوع إلى أن قال:

وقصَّرَ بقوم حتى قالوا: إيمان أفسقِ الناس وأظلمِهم كإيمان جبريل وميكائيل، فضلاً عن أبي بكر وعمر.[2]

وتجاوز بآخرين حتى أَخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة[3].[4]

قال ناسخ الرسالة: هذا آخر ما وُجِدَ من هذه الرسالة العظيمة المنافع، القاضية بالبراهين والدَّلائل القواطِع، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

[1] أي قُطِع عليه الطريق، والقاطع هو الشيطان أعاذنا الله منه، فقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل.

[2] وهؤلاء هم المرجئة.

[3] وهؤلاء هم الخوارج.

[4] «إغاثة اللهفان» (١/٢٢٤-٢٢٥)، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وهنا انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١/٤٧٠ – ٤٨٥) و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٢/٧ – ١٩)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترتُ منها ما هو أنسب للسياق، أما الأحاديث والآثار فضبطتها من مصادرها.

معنى «لا إلٰه إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها

***

تأليف

الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩ هـ)

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ سليمان بن سحمان[1] رحمه الله تعالى في بيان معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»:

اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّسَت الملة، ونُصبت القبلة، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وبها أَمر الله جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسُنِ رسله إليها، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسُّنة، فإذا عرفت هذا؛ فاعلم أن «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بعد معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، وأنها لا تنفعه إلا بعد الصدق والإخلاص واليقين، لأن كثيراً ممن يقولها في الدرك الأسفل من النار.

فلا بُدَّ في شهادة «أن لا إله إلا الله» من اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً، فإذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك؛ لم ينفعه قول «لا إله إلا الله»، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة وكلام أئمة الإسلام أكثر من أن تحصر.

وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ – ومعاذ رضي الله عنه رديفه[2] على الرحل – قال: يا مُعَاذ.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: يا معاذ.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً.

قال: ما من أحد يشهد «أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» صِدقاً من قلبه إلا حرم الله تعالى عليه النار.

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟

---

[1] هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبها، درس على الشيخ عبد الرحمٰن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، ولازمهما عشر سنوات، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشرة سنة، كما درس على الشيخ حمد بن فارس، ألَّف كُتبًا كثيرة تقرب من الأربعين كتابًا، وله أشعار كثيرة، فقد كان أديبًا بارعًا، وشاعرًا خرِّيتًا، سخَّر لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة، له دواوين في الدفاع عن الإسلام، رد على قريب من خمسين ضالاً بشعره، فكان بحق «حسَّان السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هجري، وله من العمر ثمانون عامًا.

ذُكِر أنه لما خرجت روحه شموا من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان»، حوادث سنة ١٣٤٩ هجري، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله، وكذا كتاب «ابن سحمان، تاريخ حياته، وعلمه، وتحقيق شعره»، لمحمد بن حمد العقيل، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

[2] أي راكب خلفه على الدابة.

قال: إذًا يتكلوا.

فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.[1]

{قال شيخ الإسلام وغيره في هذا الحديث ونحوه[2] إنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدةً بقوله (خالصاً من قلبه)، غير شاك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملةً، فمن شهد أن «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحالة نال ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال «لا إله إلا الله» وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة.[3]

وتواترت بأن كثيراً ممن يقول «لا إله إلا الله» يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأن الله يحرم على النار من قال «لا إله إلا الله» وشهد «أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[4]، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال[5]، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً وعادةً ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث: (سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته)[6]، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[7].

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذا الحال مُصِرًّا على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله،

---

[1] رواه البخاري (١٢٨).

ومعنى قوله (إذا يتَّكلوا) أي لا تخبرهم فيعتمدوا على مجرد النطق بها دون تحقيق معناها، ففعل معاذ ذلك ولم يخبر بالحديث، ولكن لما دنا أجله أخبر بالحديث خشية الوقوع في إثم كتمان العلم.

[2] من هنا نقل صاحب الرسالة كلاما طويلاً من «فتح المجيد» إلى حين شروعه في شرح شروط «لا إله إلا الله» في آخر الرسالة، وانظر نهاية القوس.

[3] انظر صحيح البخاري (٧٥١٠)، وابن حبان (٤٠٠/١٤)، وأبو يعلى (٢٨٨٩، ٢٩٢٧، ٢٩٥٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[4] انظر صحيح البخاري (٦٥٧٣)، وابن حبان (٤٥٠/١٦)، وأحمد (٢٧٥/٢)، وأبو يعلى (٢٤١/١١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] وهي المعروفة بشروط «لا إله إلا الله» وهي العلم والقبول والإخلاص والمحبة والانقياد واليقين والصدق والكفر بما ينافيها، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

[6] رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) عن أسماء رضي الله عنها.

[7] سورة الزخرف: ٢٣ .

وهذا هو الذي يحرُم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبًا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار.

فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مُصِر على ذنب أصلاً، فيغفر له ويُحَرَّم على النار، وإن قالها على وجه خَلُصَ به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأتِ بعدها بما يُنَاقض ذلك؛ فهذه الحسَنَة لا يُقَاومها شيء من السيئات، فيرجَح بها ميزانُ الحسنات، كما في حديث البطاقة[1]، فيُحرَّم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته، ومات مُصِرًّا على ذلك، فإنه يستوجب النار وإن قال «لا إله إلا الله» وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصاً، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقوِيت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المُخلص المستيقن؛ فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصرًّا على سيئات، فإن مات على ذلك دخل الجنة.

وإنما يُخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة فيضعف إيمانه فلا يقولها بإخلاصٍ ويقينٍ مانعٍ من جميع السيئات، ويُخشَى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سَلِمَ من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجَح جانب السيئات، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول «لا إله إلا الله»، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآية من القرآن من غير ذوقٍ وحلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كَثُرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقَسَا القلب عن قولها، وكرِه العمل الصالح، وثَقُلَ عليه سماعُ القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق.

فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يُصدِّقه عمَلُه، قال الحسن: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبِل منه، ومن قال خيراً وعمل شرًّا لم يقبل منه).[2]

---

[1] روى الترمذي (٢٦٣٩)، واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٣)، وابن حبان (٢٢٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله سيُخلِّص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: (بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم)، فتخرج بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، فيقول: أحضِر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلَم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء.

صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

[2] روى الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في «شعب الإيمان» (١/٨٠) بإسناده عن الحسن البصري قال:

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. من قال حسنًا وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحاً رفعه العمل، ذلك بأن الله تعالى قال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

وقال بكر بن عبد الله المُزني: ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه.[1]

فمن قال «لا إله إلا الله» ولم يَقُم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوباً، وكان صادقاً في قولها، موقناً بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي؛ رجَحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مُصِرًّا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما ألاَّ يكون مُصِرًّا على سيئة أصلاً، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذي يدخلون النار ممن يقولها لم يقولوها بالصدق واليقين التامَّين المنافيين للسيئات، أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعَفَت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصاً.[2]

وقال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»:

قوله: (شهادة أن «لا إله إلا الله») يقتضى أن يكون الشاهد عالماً بأن «لا إله إلا الله» كما قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾[3].

قال: واسم (الله) مرتفع بعد (إلا) من حيث إنه الواجب له الإلٰهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلٰهية وأثبت الإيجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

ثم قال البيهقي رحمه الله: وقد رُوينا أيضًا قولنا في الإيمان عن محمد بن الحنفية وعطاء بن أبي رباح والحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير ووهب ابن منبه وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم من أئمة المسلمين؛ الأوزاعي ومالك وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهم رحمهم الله.

ورواه أحمد في «الزهد» (٢٦٣/١) إلى قوله: بالتمني.

[1] قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢٣/١) رقم (٧٣): أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من قول أبي بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا.

وللفائدة فقد روى البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٩١) عن الفضيل في عياض قال: لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة.

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل -رحمهما الله- في كتاب «السنة» برقم (٨٠٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم.

وحسنه محققه الشيخ أحمد بن علي الرداعي حفظه الله.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦)، والخلال في «السنة» (١١٣٤)، وصححه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٩٠٨).

[2] تم ضبط كلام شيخ الإسلام من «فتح المجيد»، للشيخ عبد الرحمٰن بن حسن، باب «فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب».

[3] سورة محمد: ١٩ .

وقال في «البدائع» رداً لقول من قال: (إن المستثنى مخرجٌ من المنفي)[1]، قال:

بل هو مخرجٌ المنفي وحكمه، فلا يكون داخلاً في المنفي، إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله «لا إله إلا الله»، لأنه لم يُثبت الإلٰهية لله تعالى، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الإلٰهية عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على إثبات الإلٰهية أعظم من دلالة قولنا (الله إله)، ولا يستريب أحد في هذا البتة.

انتهى بمعناه.[2]

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير «لا إله إلا الله»:

أي: لا معبود إلا هو.

وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق.[3]

قال شيخ الإسلام: فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبَد، وكونه يستحق أن يُعبَد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.[4]

قال[5]: (فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مُهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده.

ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونِقمَته.

فهذه المسألة قُطب رَحى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله).[6]

وقال ابن القيم: الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكرامًا وتعظيمًا وذلاً وخضوعًا وخوفًا ورجاء وتوكلاً.[7]

---

[1] الكلام على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ويعني بالمستثنى (الله)، ويعني بالمنفي (إله)، وقائل هذه العبارة يعني أن الله غير مستثنى من الآلهة المعبودة، وابن القيم ردَّ عليه بأن الله مستثنى منها، فهو إله حق، وغيره آلهة باطلة.

[2] تم ضبطه من «بدائع الفوائد» (٣/٩٢٥-٩٢٦)، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

[3] «الكشاف» (١/٣٦)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

[4] «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٤٩)، وقد ضبطت النص منه.

وقال أيضًا (١٣/٢٠٢): والإله هو المألوه، أي المستحق لأن يؤلَه أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لَدُن عرشه إلى قرار أرضه باطل.

[5] القائل هو ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين»، انظر (ص ٦٩٥)، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد — مكة.

[6] انتهى.

[7] «إغاثة اللهفان»، ص ٧٢، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار ابن الجوزي — الدمام.

وقال ابن رجب: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفًا ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلٰهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.[1]

وقال البِقاعي: «لا إله إلا الله»، أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير المَلِكِ الأعظم، فإن هذا العِلْم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون عِلْماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صِرف.

وقال الطِّيبي: الإله فِعَال بمعنى مفعول، كالكِتاب بمعنى المكتوب، مِن أَلِه إلٰهة، أي عبدَ عبادةً.

قال الشارح[2]: وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم.

فدلَّت «لا إله إلا الله» على نفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان، وإثبات الإلٰهية لله وحده دون ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره، كما قال تعالى عن الجن ﴿قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾[3].

فـ «لا إله إلا الله» لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً، واعتقد ذلك وقبِله وعمل به، وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهل صِرف، فهو حجة عليه بلا ريب.

فقوله في الحديث: (وحده لا شريك له)؛ تأكيد وبيان لمضمون معناها، وقد أوضح الله عن ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين.

فما أجهل عباد القبور بحالهم، وما أعظم ما وقعوا فيه (من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»)[4]، فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا «لا إله إلا الله» لفظاً ومعنى، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة.

---

[1] «كلمة الإخلاص» ص ٢٥، الناشر: دار الشريف – الرياض.

ومما قاله رحمه الله في تحقيق كلمة التوحيد:

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله له غير الله. (ص ٢٥).

تنبيه: أدخل المؤلف رحمه الله – تبعاً لمن نقل عنه وهو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن مؤلف «فتح المجيد» – كلام ابن القيم مع كلام ابن رجب في فقرة واحدة على أنها من كلام ابن القيم، وقد ضبطت النص وعزوته لكل واحد منهما، والله أعلم.

[2] يقصد بذلك الشيخ سليمان بن عبد الله، شارح كتاب «التوحيد».

[3] سورة الجن: ١– ٢ .

[4] هذه ساقطة من المطبوع من «فتح المجيد»، وهو مثبت في «الدرر».

بل زاد شِركُهم على شرك العرب بمراتب، فإن أكثرهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقدون أنه أسرع فرجاً لهم، بخلاف حال المشركين الأولين؛ فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنهم[1] يخلصون لله وحده، كما قال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ الآية[2].

فبهذا تبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم}.

انتهى من «فتح المجيد».[3]

فهذا بعض ما ذكره بعض العلماء في معنى «لا إله إلا الله»، وفيه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فصل

وأما شروطها التي ذكر شيخنا الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن أنه لا بُدَّ منها في شهادة «أن لا إله إلا الله»؛ فقال رحمه الله:

لا بُدَّ في شهادة «أن لا إله إلا الله» من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

الأول: العلم المنافي للجهل، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها.

الثاني: اليقين المنافي للشك، لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، فإن لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص.

الرابع: الصدق المنافي للنفاق، لأن المنافقين يقولونها، ولكنه لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه، فصار قولهم كذباً لمخالفة الظاهر للباطن.

الخامس: القَبُول المنافي للرد، لأن من الناس من يقولها مع معرفته معناها، لكن لا يَقبل ممن دعاه إليه، إما كبراً أو حسداً أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول، فتجده يعادي أهل الإخلاص ويوالي أهل الشرك ويحبهم.

السادس: الانقياد المنافي للترك، لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه أو تحصيل دنياه، وهذه حال كثير من الناس.

السابع: المحبة المنافية لضدها.

انتهى ما ذكره الشيخ.

فإذا تبين لك هذا وعرفته، وتحققت أن «لا إله إلا الله» هي كلمة الإخلاص، وهي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى؛ فاعلم أن هذه الكلمة نفيٌ وإثبات؛ نفي الإلٰهية عما سوى الله من المخلوقات، وإثباتها لله وحده لا شريك له، وأنها لا تنفع قائلها إلا باجتماع هذه الشروط التي تقدم ذكرها، فمن عرف معناها وعمل بمقتضاها

---

[1] في «فتح المجيد»: إنما، والمثبت من «الدرر».

[2] سورة العنكبوت: ٦٥ .

[3] ينبغي التنبه إلى أن بداية النقل من «فتح المجيد» كان في أول هذه الرسالة، بعد حديث معاذ.

وتحقق بها علماً وعملاً واعتقاداً فقد استمسك بالإسلام الذي قال الله فيه ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1]، وقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

فإذا علمت هذا؛ فقد ذكر أهل العلم نواقض الإسلام، وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمائة ناقض، ولكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام، وعَلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام، وأنها عشرة، فقال رحمه الله:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[3]، ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[4]، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كَفَرَ.

الرابع: من اعتقد أن غير هَدْي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء الرسول ﷺ – ولو عمل به – كَفَرَ.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾[5].

السابع: السِّحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى ﴿وما يُعَلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾[6].

الثامن: مُظَاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾[7].

---

[1] سورة آل عمران: ١٩ .

[2] سورة آل عمران: ٨٥ .

[3] سورة النساء: ٤٨ .

[4] سورة المائدة: ٧٢ .

[5] سورة التوبة: ٦٥ – ٦٦ .

[6] سورة البقرة: ١٠٢ .

[7] سورة المائدة: ٥١ .

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يَسَعُه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وَسِع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلَّمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[1].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ومن أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه. انتهى.[2]

---

[1] سورة السجدة: ٢٢ .

[2] انتهى كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٣٥٠-٣٦٢)، وقد ضبطت متن «نواقض الإسلام» من «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١/٣٨٥ – ٣٨٧).